# كتاب

# أصول الإيمان

## في ضوء الكتاب والسنة

إعداد

نخبة من العلماء

## مقدمة معالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـــيخ

**بسم الله الرحمن الرحيم**

بقلم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـــيخ وزير الشـــؤون الإســـلامية والأوقاف والدعوة والإرشـــاد المشرف العام على المجمع.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[1] [النحل: 125]. والصلاة والســـلام علـــى أشرف الأنبياء والمرسلين، القـــائل: ﴿ بلغوا عني ولو آية ﴾ [2] [ البخـــاري: 3461].

أما بعد: فإنفاذًا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـــد العزيز آل سعود - حفظه الله- في إيصال الخير إلى عمـــوم المســـلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بدءًا بالعناية بكتاب الله، والعمل على تيسير نشره، وترجمة معانيه، وتوزيعه بين المسلمين، والراغبين في دراسته من غـــيرهم، ثم نشر ما ينفع المسلمين في جميع شؤون حياتهم الدينية والدنيوية.

وإيمانًا من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلـــة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بأهمية الدعـــوة إلى الله تعالى على بصيرة فإنه يسرها أن تقدم كتاب:

**(( أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ))**

وذلك لتبصير المسلمين في أمور العقيدة التي هي أساس الإيمان، لقولـــه صلى الله ﷺ ﴿ إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ﴾ [3] [ البخاري: 52]، وستتبعه

---

(1) سورة النحل آية : 125 .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (3274) ، الترمذي العلم (2669) ، أحمد (159/2) ، الدارمي المقدمة (542) .

(3) البخاري الإيمان (52) ، مسلم المساقاة (1599) ، ابن ماجه الفتن (3984) ، أحمد (270/4) ، الدارمي البيوع (2531) .

إن شاء الله تعالى سلسلة من الكتب في الحديث، والفقه، والذكر والدعاء، والتي نرجو من الله العلي القدير أن ينفع بها عموم المسلمين.

وبهذه المناسبة يسرني أن أشكر الإخوة الذين قاموا بإعداد الكتاب (تأليفًا، ومراجعة، وصياغة) جهدهم المخلص، وللأمانة العامة للمجمع حسن اهتمامها ومتابعتها، وأدعو الله تعالى أن يحفظ هذه البلاد راعية للدين، وحامية للعقيدة الصحيحة في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، حفظهم الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## المقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمَّتنا -أمَّة الإسلام- خيرَ أمَّة، وبعث فينا رسولًا منَّا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلِّمنا الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإنَّ الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] (الذاريات: 56). ولذا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذةُ من منبعها الأصلي وموردها المبارك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي الغاية لتحقيق تلك العبادة، فهي الأساس لعمارة هذا الكون، وبفقدها يكون فساده وخرابه واختلاله، كما قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [2] (الأنبياء: 22)، وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [3] (الطلاق: 12)، إلى غير ذلك من الآيات.

ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله رسلَه وأنزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتى يقوموا بعبادة الله على علم وبصيرة وأسسٍ واضحةٍ ودعائم قويمةٍ، فتتابع رسلُ الله على تبليغه، وتوالوا في بيانه كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [4] (فاطر: 24)، وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا

(1) سورة الذاريات آية : 56 .
(2) سورة الأنبياء آية : 22 .
(3) سورة الطلاق آية : 12 .
(4) سورة فاطر آية : 24 .

تَتۡرَاۖ ﴾ [1] (المؤمنون: 44)، أي يتبع بعضُهم بعضًا إلى أن ختمهم بسيِّدهم وأفضلهم وإمامهم نبيِّنا محمد ﷺ فبَلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده ودعا إلى الله سـرًّا وجهرًا، وقام بأعباء الرسالة أكملَ قيام، وأوذيَ في الله أشدَّ الأذى، فصـبر كما صبر أولو العزم من الرسل، و لم يزل داعيًا إلى الله هاديـًا إلى صراطـه المستقيم حتى أظهر الله به الدِّين، وأتم به النِّعمة، ودخل الناس بسبب دعوتـه في دين الله أفواجًا، و لم يَمُت ﷺ حتى أكمل الله به الدِّين وأتمَّ به النِّعمـة، وأنـزل في ذلك سبحانه قولـه: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [2] (المائدة: 3).

فبيَّن صلوات الله وسلامه عليه الدين كلَّه أصوله وفروعه، كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: " مُحال أن يُظنَّ بالنبي ﷺ أنه علَّم أمتـه الاستنجاء و لم يعلمهم التوحيد ".

وقد كان ﷺ داعيةً إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين لله ونبذ الشرك كـلِّه كبيرِه وصغيره شأن جميع المرسلين؛ إذ أنَّ الرسلَ كلَّهم متَّفقون على ذلـك، متضافرون على الدعوة إليه، بل هو منطلقُ دعوتهم وزبدة رسالتهم وأسـاس بعثتهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾ [3] (النحل: 36)، وقال:

---

(1) سورة المؤمنون آية : 44 .

(2) سورة المائدة آية : 3 .

(3) سورة النحل آية : 36 .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [1] (الأنبياء: 25)، وقال تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ ﴾ [2] (الزخرف: 45)، وقال تعـــالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [3] (الشـــورى: 13).

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الأنبياء إخوة لعلَّات، أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد » [4] [5] فـــالدِّين واحـــدٌ، والعقيدة واحدةٌ، وإنَّما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع، كما قـــال تعـــالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ [6] (المائدة: 48).

ولذا ينبغي أن يكون متقرِّرا لدى كلِّ مسلم وواضحا لدى كلِّ مؤمـــن أنَّ العقيدة لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء، وإنَّما الواجب علـــى كـــلِّ مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرســـلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تشـــكُّكٍ أو تـــردُّدٍ، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ

(1) سورة الأنبياء آية : 25 .
(2) سورة الزخرف آية : 45 .
(3) سورة الشورى آية : 13 .
(4) البخاري أحاديث الأنبياء (3259) ، مسلم الفضائل (2365) ، أبو داود السنة (4675) ، أحمد (406/2) .
(5) صحيح البخاري (3443) ، وصحيح مسلم (2365) .
(6) سورة المائدة آية : 48 .

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [1] (البقرة: 285).

فهذا شأنُ المؤمنين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذعان والقبول، وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلامة، ويتحقق له الأمن والأمان، وتزكو نفسُه، ويطمئنُّ قلبُه، ويكون بعيدًا تمام البعد عمَّا يقع فيه ضلَّال النـاس بسبب عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحَيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها السليمة وقواعدها المتينة هي - دون غيرها - التي تحقِّق للناس سعادهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة؛ لوضوح معالمها، وصحَّة دلائلها، وسلامة براهينها وحججها، ولموافقتها للفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب السويَّة.

ولهذا فإنّ العالَمَ الإسلامي كلّه في أشدِّ الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافية النقيَّة؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقر نجاته الذي عنه لا تحور.

وفي هذا المؤلّف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهمَّ أسسها وأبرزَ أصولها ومعالمها ممَّا لا غنى لمسلم عنه، ويجد ذلك كله مقرونا بدليله، مدعَّمًا بشواهده، فهو كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وهي أصول عظيمة موروثة عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكل مميِّز من صغير وكبير أن يُدركها بأقصر زمان وأوجز مدَّة، والتوفيق بيد الله وحده. وبهذه المناسبة نتقدم بالشكر الجزيل للذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وهم: الدكتور صالح بن سعد السحيمي، والدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، والدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي. كما نشكر اللذين قاما بمراجعته وصياغته وهما: الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي، والدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

---

(1) سورة البقرة آية : 285 .

وإنَّا لنرجوه سبحانه أن ينفع به عمومَ المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العالمين.

الأمانة العامة

لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

## تمهيد

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] (النحل: 97). وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [2] (الإسراء: 19).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [3] (طه: 75). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [4] (الكهف: 107، 108). والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على الأصول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواطن عديدة. منها:

---

(1) سورة النحل آية : 97 .

(2) سورة الإسراء آية : 19 .

(3) سورة طه آية : 75 .

(4) سورة الكهف آية : 107 ، 108 .

1 - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [1] (النساء: 136).

2 - وقوله تعالى: ﴿ ۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [2] (البقرة: 177).

3 - وقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [3] (البقرة: 285).

4 - وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ [4] ( القمر: 49).

5 - وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب المشهور بحديث جبريل ﴿ أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: ( أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [5] [6] .

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

---

(1) سورة النساء آية : 136 .
(2) سورة البقرة آية : 177 .
(3) سورة البقرة آية : 285 .
(4) سورة القمر آية : 49 .
(5) مسلم الإيمان (8) ، الترمذي الإيمان (2610) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4990) ، أبو داود السنة (4695) ، ابن ماجه المقدمة (63) ، أحمد (27/1) .
(6) صحيح مسلم برقم (1) .

ولذا كان متأكدا في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامـــه بهـــذه الأصول علما وتعلما وتحقيقا.

وفيما يلي بيان ما يتعلق بالأصل الأول من هذه الأصول وهو الإيمان بالله.

## الباب الأول: الإيمان بالله

إن الإيمان بالله ﷻ هو أهم أصول الإيمـــان، وأعظمــها شـــأنا، وأعلاها قدرا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقيـــة الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله عز وجـــل هـــو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنمـــا ســـمي توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندَّ له.

وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول: توحيد الربوبية** ، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى رب كـــلّ شيء ومليكُه وخالقُه ورازقُه، وأَنه المحيي المميتُ النـــافعُ الضـــار، المتفـــرِّدُ بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجـــع الأمرُ كله، لا شريك له في ذلك.

**القسم الثاني: توحيد الألوهية** ، وهو إفراد الله وحده بالذلِّ والخضـــوع والمحبَّة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبـــادة لا شريك له.

**القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات** ، وهو إفراد الله تعالى. بما سمـــى ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وتنـــزيهه عـــن النقـــائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه والإقرار بأنَّ الله بكلِّ شـــيء عليم، وعلى كلِّ شيء قدير، وأنَّه الحـــيُّ القيُّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نـــوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنَّه سميع بصير، رؤوف رحيـــم، علـــى العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنَّه الـــمَلِك القدوس السلام المؤمـــن المهيمن العزيز الجبَّار المتكبِّر، سبحان الله عمَّا يشركون، إلى غير ذلك مـــن الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائلُ كثيرة من الكتاب والسنة.

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشـــرك وأهلـــه وجزائهم.

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، أفاد هذه الحقيقة الشرعية، وهي أنّ التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته، فمَن لم يأت بهذا جميعه فليس بمؤمن، وفيما يلي فصول ثلاثة في كل فصل منها بيان لقسم من هذه الأقسام:

## الفصل الأول: توحيد الربوبية

### المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

**أولا: تعريفه:**

**أ- لغة :** الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الربُّ، فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والمُصْلِح.

**ب- أما في الاصطلاح :** فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.

ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

**ثانيا: أدلته :**

**أ- من الكتاب :** قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝١١ ﴾ [1] (لقمان: 10، 11). وقوله تعالى: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ ﴾ [2] (الطور: 35)

**ب- من السنة :** ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن الشخير ﷺ مرفوعا وفيه: (السيد الله تبارك وتعالى.. ). وقد ثبت في الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما:... ﴿ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن

---

(1) سورة لقمان آية : 10 ، 11 .

(2) سورة الطور آية : 35 .

يضروك بشيء لم يضـــروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف ﴾ [1] [2].

**ج- دلالة العقل** : دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبيـــة وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طـــرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:

**الطريق الأول** : النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو مـــا يعرف بـــ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قـــال تعـــالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [3] (الذاريات: 21)، وقال تعالى: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ ﴾ [4] (الشمس: 7)، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجـــائب صنـــع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما خبيرا؛ إذ لا يستطيع الإنســـان أن يخلق النطفة التي كان منها ؟ أو أن يحولها إلى علقـــة، أو يحـــول العلقـــة إلى مضغة، أو يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما ؟

**الطريق الثاني** : النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعـــرف بـــ (دلالة الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالـــة علـــى ربوبيته، قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [5] (فصلت: 53).

---

(1) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516) ، أحمد (293/1) .

(2) سنن الترمذي (2516) ، ومسند أحمد (1 / 307) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه ، وصححه الحاكم .

(3) سورة الذاريات آية : 21 .

(4) سورة الشمس آية : 7 .

(5) سورة فصلت آية : 53 .

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق؛ دله ذلك على أن هناك خالقا لهذا الكون، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خُلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلة على وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رحمه الله: " أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد ؟ ".

فقالوا: " هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هذا محالا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله ؟ ".

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية خالقه وتفرده.

## المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما تقدم؛ ولذا فإنــه لا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجــي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [1] (يوسف: 106)، والمعنى أي: ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ورازقا ومدبــرا- وكل ذلك من توحيد الربوبية - إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره مــن الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " من إيمانهم إذا قيل لهــم مــن خلــق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا: الله وهم مشركون ".

وقال عِكْرِمَة: " تسألهم من خلقهم ومن خلــق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره ".

وقال مجاهد: " إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شــرك عبادتهم غيره ".

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: " ليس أحد يعبد مــع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُه ورازقُه، وهــو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2] (الشــعراء: 75- 77) " [1] .

---

(1) سورة يوسف آية : 106 .

(2) سورة الشعراء آية : 75 ، 77 .

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كان المشركون زمن النبي ﷺ مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه على إقرار المشركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] (العنكبوت: 61)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [3] (العنكبوت: 63)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [4] (الزخرف: 87)، وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [5] (المؤمنون: 84- 89).

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أن الله هو المتفرد

---

(1) انظر : تفسير ابن جرير (7 / 312- 313) .

(2) سورة العنكبوت آية : 61 .

(3) سورة العنكبوت آية : 63 .

(4) سورة الزخرف آية : 87 .

(5) سورة المؤمنون آية : 84 - 89 .

بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [1] (الزمر: 3)، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

(1) سورة الزمر آية : 3 .

## المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولة عليه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

1 - جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ ﴾ [1] (الجاثية: 24).

2- جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيته، كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

3- إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقد وجود متصرف مع الله ﷻ في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

---

(1) سورة الجاثية آية : 24 .

## الفصل الثاني: توحيد الألوهية

الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسماء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو سبحانه المألوه المعبود الذي يجب أن تألهه القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقِين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا أفرد الله بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النوع من التوحيد.

## المبحث الأول: أدلته، وبيان أهميته

### المطلب الأول: أدلّته.

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

1 - تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [1] (البقرة: 21)، وقوله: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [2] (النساء: 36)، وقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [3] (الإسراء: 23)، ونحوها من الآيات.

2 - وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [4] (الذاريات: 56).

3 - وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [5] (النحل: 36)، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [6] (الأنبياء: 25).

---

(1) سورة البقرة آية : 21 .
(2) سورة النساء آية : 36 .
(3) سورة الإسراء آية : 23 .
(4) سورة الذاريات آية : 56 .
(5) سورة النحل آية : 36 .
(6) سورة الأنبياء آية : 25 .

4 - وتارة ببيان أنه المقصود من إنــزال الكتب الإلــهية، كمـــا في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [1] (النحل: 2).

5 - وتـــارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمـــة ونعم كريمة في الدنيـــا والآخرة، كما قال الله تعـــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [2] (الأنعام: 82).

6 - وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعـــد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [3] (المائدة: 72)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [4] (الإسراء: 39).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليـــه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

1 - ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال النبي ﷺ ﴿ يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قـــال: أن يعبدوه ولا

---

(1) سورة النحل آية : 2 .
(2) سورة الأنعام آية : 82 .
(3) سورة المائدة آية : 72 .
(4) سورة الإسراء آية : 39 .

يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال: الله ورســـوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم ﴾ [1] [2] .

2 - وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث النبي ﷺ معاذا نحو اليمن قال لـــه: ﴿ إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكـــن أول مـــا تدعوهـــم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فـــرض عليـــهم خمـــس صلوات ﴾ [3] ....، الحديث، رواه البخاري [4].

3 - وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رســـول الله ﷺ قـــال: ﴿ مـــن مـــات وهـــو يـــدعو من دون الله نـــدًّا دخل النار ﴾ [5] ، رواه البخاري [6] .

4 - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شـــيئا دخـــل النـــار ﴾ [7] ، رواه مسلم [8] .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

المطلب الثاني بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل

---

(1) البخاري التوحيد (6938) ، مسلم الإيمان (30) ، الترمذي الإيمان (2643) ، ابن ماجه الزهد (4296) ، أحمد (230/5) .

(2) صحيح البخاري (7373) .

(3) البخاري المغازي (4090) ، مسلم الإيمان (19) ، الترمذي الزكاة (625) ، النسائي الزكاة (2435) ، أبو داود الزكاة (1584) ، ابن ماجه الزكاة (1783) ، أحمد (233/1) ، الدارمي الزكاة (1614) .

(4) صحيح البخاري (7372) .

(5) البخاري تفسير القرآن (4227) ، مسلم الإيمان (92) ، أحمد (443/1) .

(6) صحيح البخاري (4497) .

(7) البخاري العلم (129) ، مسلم الإيمان (32) ، أحمد (244/3) .

(8) صحيح مسلم (93) .

### المطلب الثاني: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [1] (النحل: 36)، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2] (الأنبياء: 25).

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [3] (الأعراف: 65)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [4] (الأعراف: 73)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [5] (الأعراف: 85).

### المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدم أن توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم، فما من رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء

(1) سورة النحل آية : 36 .
(2) سورة الأنبياء آية : 25 .
(3) سورة الأعراف آية : 65 .
(4) سورة الأعراف آية : 73 .
(5) سورة الأعراف آية : 85 .

وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعونهم إلى توحيـــد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] (نوح: 23-24)، وقال عن قوم هود عليه الســـلام: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] (الأحقاف: 22)، ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [3] (هود: 53).

وقال عن قوم صالح عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ ﴾ [4] (هود: 62).

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [5] (هود: 87).

وقال عن كفـــار قريـــش: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ

---

(1) سورة نوح آية : 23 ، 24 .

(2) سورة الأحقاف آية : 22 .

(3) سورة هود آية : 53 .

(4) سورة هود آية : 62 .

(5) سورة هود آية : 87 .

وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾ [1] (ص: 4-7).

وقـــال: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٤﴾ ﴾ [2] (الفرقان: 41-44).

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدل أوضح دلالـــة أن المعـــترك والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد العبادة والدعـــوة إلى إخلاص الدين لله.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيمـــوا الصـــلاة ويؤتـــوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحـــق الإســـلام وحسابهم على الله ﴾ [3] [4].

وثبت في الصحيح أيضا عن النبي ﷺ قال: ﴿ من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله ﴾ [5] [6].

---

(1) سورة ص آية : 4 - 7 .

(2) سورة الفرقان آية : 41 - 44 .

(3) البخاري الإيمان (25) ، مسلم الإيمان (22) .

(4) صحيح البخاري برقم (52) ، وصحيح مسلم برقم (22) .

(5) مسلم الإيمان (23) ، أحمد (394/6) .

(6) صحيح مسلم برقم (23) .

## المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطالب

### المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها.

العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بعير معبد، أي: مذلل، وطريــق معبد: إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

وشرعا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمــال الظاهرة والباطنة.

وسيأتي ما يوضح ذلك عند ذكر بعض أنواع العبادة.

وهي تبنى على ثلاثة أركان:

**الأول**: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [1] (البقرة: 165).

**الثاني**: كمال الرجاء، كما قال تعالى: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ ﴾ [2] (الإسراء: 57).

**الثالث**: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قــال تعــالى: ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [3] (الإسراء: 57).

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتــاب في قوله سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [4] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [5] ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [6] ، فالآية الأولى فيها المحبة؛ فإن الله منعم، والمنعم يُحبُّ علــى

(1) سورة البقرة آية : 165 .
(2) سورة الإسراء آية : 57 .
(3) سورة الإسراء آية : 57 .
(4) سورة الفاتحة آية : 2 .
(5) سورة الفاتحة آية : 3 .
(6) سورة الفاتحة آية : 4 .

قـــدر إنعامه، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجى رحمتـــه، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [1] ، أي: أعبدك يا رب هـــذه الثلاث: بمحبتك التي دل عليها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [2] ، ورجائك الـــذي دل عليه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [3] ، وخوفـــك الـــذي دل عليـــه: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [4] .

**والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:**

**1 - الإخلاص فيها للمعبود** ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخـــالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [5] (البينة: 5)، وقَال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [6] (الزمر: 3)، وقال تعـــالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ [7] (الزمر: 14).

**2 - المتابعة للرسول** صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ

(1) سورة الفاتحة آية : 5 .
(2) سورة الفاتحة آية : 2 .
(3) سورة الفاتحة آية : 3 .
(4) سورة الفاتحة آية : 4 .
(5) سورة البينة آية : 5 .
(6) سورة الزمر آية : 3 .
(7) سورة الزمر آية : 14 .

﴾ [1] (الحشر: 7)، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] (النساء: 65).

وقوله ﷺ ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [3] [4] (أي مردود عليه).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصا لله صوابا على سنة رسول الله ﷺ قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [5] (هود: 7، الملك: 2): " أخلصه وأصوبه "، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه ؟ قال: " إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة " [6].

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [7] (الكهف: 110).

---

(1) سورة الحشر آية : 7 .

(2) سورة النساء آية : 65 .

(3) البخاري الصلح (2550) ، مسلم الأقضية (1718) ، أبو داود السنة (4606) ، ابن ماجه المقدمة (14) ، أحمد (270/6) .

(4) صحيح البخاري برقم (2697) .

(5) سورة هود آية : 7 .

(6) حلية الأولياء : (8 / 95) .

(7) سورة الكهف آية : 110 .

## المطلب الثاني: ذكر بعض أنواع العبادة.

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة على ذلك:

1 - فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [1] (غافر: 14)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ۝١٨ ﴾ [2] (الجن: 18)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ [3] (الأحقاف: 5- 6).

فمن دعا غير الله ﷻ بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا، ومن دعا حيا. بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتا أو غائبا. بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم. بمثل هذا.

**والدعاء نوعان:** دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، ودعاء العبادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

---

(1) سورة غافر آية : 14 .

(2) سورة الجن آية : 18 .

(3) سورة الأحقاف آية : 5 ، 6 .

2، 3، 4 - ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وقد تقدم الكلام عليها وبيان أنها أركان للعبادة.

5 - **ومن أنواعها**: التوكل، وهو الاعتماد على الشيء.

والتوكل على الله: هو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتمادا عليه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيل المنافع ودفع المضار، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [1] (المائدة: 23)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [2] (الطلاق: 3).

6، 7، 8- **ومن أنواع العبادة**: الرغبة والرهبة والخشوع.

فأما الرغبة: فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة من العبادة: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [3] (الأنبياء: 90).

9 - **ومن أنواعها**: الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، قال الله تعالى: ﴿ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ [4] (البقرة: 150).

﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ﴾ [5] (المائدة: 3).

---

(1) سورة المائدة آية : 23 .

(2) سورة الطلاق آية : 3 .

(3) سورة الأنبياء آية : 90 .

(4) سورة البقرة آية : 150 .

(5) سورة المائدة آية : 3 .

10- **ومنها الإنابة** ، وهي الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [1] (الزمر: 54).

11 - **ومنها: الاستعانة** ، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمور الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝ ﴾ [2] ، وقال ﷺ في وصيته لابن عباس: ﴿ إذا استعنت فاستعن بالله ﴾ [3] [4] .

12 - **ومنها: الاستعاذة** ، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكروه، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ ﴾ [5] وقال تعالى ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝ ﴾ [6] .

13 - **ومنها الاستغاثة** ، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ [7] (الأنفال: 9).

14 - **ومنها الذبح** ، وهو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه الخصوص تقربا إلى الله، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [8] (الأنعام: 162)، وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝ ﴾ [9] (الكوثر: 2).

---

(1) سورة الزمر آية : 54 .

(2) سورة الفاتحة آية : 5 .

(3) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516) ، أحمد (308/1) .

(4) سنن الترمذي (2516) ، ومسند أحمد (1 / 307) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه الحاكم .

(5) سورة الفلق آية : 1 ، 2 .

(6) سورة الناس آية : 1 - 4 .

(7) سورة الأنفال آية : 9 .

(8) سورة الأنعام آية : 162 .

(9) سورة الكوثر آية : 2 .

15 - **ومنها النذر** ، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غـــير واجبة، قال الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [1] (الإنسان: 7).

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحـــده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** عبادات القلب، كالمحبـــة والخوف والرجـــاء والإنابـــة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

**القسم الثاني:** عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاســـتغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

**القسم الثالث:** عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحـــج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

(1) سورة الإنسان آية : 7 .

## المبحث الثالث: حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد

لقد كان النبي ﷺ حريصا أشد الحرص على أمته؛ لتكون عزيزة منيعة محققة لتوحيد الله ﷻ مجانبة لكل الوسائل والأسباب المفضية لما يضاده ويناقضه، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [1] (التوبة: 128).

وقد أكثر ﷺ في النهي عن الشرك وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة ملة إبراهيم التي بعث بها من كل ما قد يشوبها من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ فأقام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعذرة، وأبان السبيل.

وفي المطالب التالية عرض يتبين من خلاله حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده كل طريق يفضي إلى الشرك والباطل.

### المطلب الأول: الرقى.

أ- **تعريفها**: الرقى جمع رقية، وهي القراءة والنفث طلبا للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

ب- **حكمها**: الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك ﷺ قال: ﴿ كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ﴾ [2]، رواه مسلم [3].

---

(1) سورة التوبة آية : 128 .

(2) مسلم السلام (2200) ، أبو داود الطب (3886) .

(3) صحيح مسلم برقم (2200) .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: ﴿رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين [1] والحمة [2] والنملة﴾ [3] "، رواه مسلم [4] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل﴾ [5] ، رواه مسلم [6] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما﴾ [7] ، رواه البخاري ومسلم [8] .

ج- **شروطها**: ولجوازها وصحتها شروط ثلاثة:

**الأول**: أن لا يعتقد أنها تنفع لذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو محرم، بل هو شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

**الثاني**: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

**الثالث**: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة فإنها لا تجوز.

---

(1) " العين " إصابة العائن غيره بعينه بقدر الله .

(2) " الحمة " بحاء مهملة مضمومة ثم ميم مخففة : وهي السم ، ومعناه : أذن في الرقية من كل ذات سم ، مثل لدغة الثعبان ، أو العقرب أو نحوهما .

(3) " النملة " بفتح النون وإسكان الميم : قروح تخرج من الجنب .

(4) صحيح مسلم برقم (2196) .

(5) مسلم السلام (2198) ، أحمد (302/3) .

(6) صحيح مسلم برقم (2199) .

(7) البخاري الطب (5418) ، مسلم السلام (2191) ، ابن ماجه الطب (3520) ، أحمد (45/6) .

(8) صحيح البخاري برقم (5743) ، وصحيح مسلم برقم (2191) .

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله: أيرقي الرجل ويسترقي ؟ فقال: " لا بأس بذلك، بالكلام الطيب ".

**د- الرقية الممنوعة:** كل رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنها تنفع وتؤثر بذاتها، أو تكون مشتملة على ألفاظ شركية وتوسلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلك، أو تكون بألفاظ غير مفهومة كالطلاسم ونحوها.

## المطلب الثاني: التمائم.

**أ- تعريفها:** التمائم جمع تميمة، وهي ما يعلق على العنق وغيره من تعويذات أو خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ضر، وكان العرب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين بزعمهم الباطل.

**ب- حكمها:** التحريم،

بل هي نوع من أنواع الشرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله؛ إذ لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.

عن ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إن الرقى والتمائم والتولة شرك﴾ [1] ، رواه أبو داود والحاكم [2] .

وعن عبد الله بن عكيم ﷺ مرفوعا: ﴿من تعلق شيئا وكل إليه﴾ [3] ، رواه أحمد والترمذي والحاكم [4] .

(1) أبو داود الطب (3883) ، ابن ماجه الطب (3530) ، أحمد (381/1) .

(2) سنن أبي داود برقم (3883) ، ومستدرك (4 / 241) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(3) الترمذي الطب (2072) .

(4) مسند أحمد (4 /310) ، وسنن الترمذي برقم (2072) ، ومستدرك الحاكم (4 / 241) وصححه الحاكم .

وعن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعا: ﴿ من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومـــن تعلق ودعة فلا ودع الله له ﴾[1]، رواه أحمد والحاكم [2] .

وعن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿من علق تميمة فقـــد أشرك ﴾ [3] ، رواه أحمد [4] . فهذه النصوص وما في معناها في التحذير من الرقـــى الشركية التي كـــانت هي غالب رقى العرب فنهي عنها لما فيها من الشـــرك والتعلق بغير الله تعالى.

ج- وإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهـــل العلم، فذهب بعضهم إلى جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجـــوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجوه أربعة:

1- عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصص للعموم.

2- سدا للذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.

3- أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجـــة والاستنجاء، ونحو ذلك.

4- أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة بـــه علـــى المريض فلا تتجاوز.

المطلب الثالث لبس الحلقة والخيط ونحوها

---

(1) أحمد (154/4) .

(2) مسند أحمد (4/ 154) ، ومستدرك الحاكم (4/ 240) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(3) أحمد (156/4) .

(4) مسند أحمد (4 / 156) ، وصححه الحاكم (4/ 244) وقال عبد الرحمن بن حسن ورواته ثقات .

## المطلب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها.

أ- الحلقة قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحـــو ذلك، والخيط معروف، وقد يجعل من الصوف أو الكتان أو نحوه، وكـــانت العرب في الجاهلية تعلق هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العـــين، والله تعالى يقول: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1] (الزمر: 38)، ويقول تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [2] (الإسراء: 56).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه ﴿أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة مـــن صفر فقال: ما هذه ؟ قال: من الواهنة، فقال: انـــزعها؛ فإنها لا تزيـــدك إلا وهنا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك مـــا أفلحـــت أبـــدا﴾ [3]، رواه أحمد [4].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمـــى فقطعه وتلا قوله تعـــالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [5] (يوسف: 106) [6].

(1) سورة الزمر آية : 38 .
(2) سورة الإسراء آية : 56 .
(3) ابن ماجه الطب (3531) ، أحمد (445/4) .
(4) المسند (4 / 445) ، وقال البوصيري إسناده حسن وقال الهيثمي رجاله ثقات .
(5) سورة يوسف آية : 106 .
(6) تفسير ابن أبي حاتم (7 / 2207) .

ب- حكم لبس الحلقة والخيط ونحو ذلك، محرم فإن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله فهو مشرك شركا أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد وجود خالق مدبر مع الله تعالى الله عما يشركون.

وإن اعتقد أن الأمر لله وحده وأنها مجرد سبب، ولكنه ليس مؤثرا فهو مشرك شركا أصغر لأنه جعل ما ليس سببا سببا والتفت إلى غير ذلك بقلبه، وفعله هذا ذريعة للانتقال للشرك الأكبر إذا تعلق قلبه بها ورجا منها جلب النعماء أو دفع البلاء.

المطلب الرابع التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها

## المطلب الرابع: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

التبرك هو طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

1 - أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم مثل القرآن قال الله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [1] (الأنعام: 92، 155)، فمن بركته هدايته للقلوب وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس وتهذيبه للأخلاق، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

2 - أن يكون التبرك بأمر غير مشروع، كالتبرك بالأشجار والأحجار والقبور والقباب والبقاع ونحو ذلك، فهذا كله من الشرك.

فعن أبي واقد الليثي قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة [2] يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ

(1) سورة الأنعام آية : 92 .

(2) السدرة : شجرة ذات شوك .

﴿ ﴾ [1] (الأعراف: 138)، ﴿لتركبن سنن من كان قبلكم﴾ ، رواه الترمذي وصححه [2] .

فقد دل هذا الحديث على أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار ونحوها من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك، ولهذا أخبر في الحديث أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بها كما يتبرك المشركون، وأولئك طلبوا إلها كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذ إله غير الله شرك واضح.

وفي قوله ﷺ في الحديث: ﴿لتركبن سنن من كان قبلكم﴾ [3] إشارة إلى أن شيئا من ذلك سيقع في أمته ﷺ وقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام ناهيا ومحذرا.

المطلب الخامس النهي عن أعمال تتعلق بالقبور

## المطلب الخامس: النهي عن أعمال تتعلق بالقبور.

لقد كان الأمر في صدر الإسلام على منع زيارة القبور لقرب عهدهم بالجاهلية حماية لحمى التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان وعظم شأنه في الناس ورسخ في القلوب واتضحت براهين التوحيد وانكشفت شبهة الشرك جاءت مشروعية زيارة القبور محددة أهدافها موضحة مقاصدها.

فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها﴾ [4] ، رواه مسلم [5] .

---

(1) سورة الأعراف آية : 138 .

(2) سنن الترمذي برقم (2180 ) .

(3) الترمذي الفتن (2180) ، أحمد (218/5) .

(4) مسلم الجنائز (977) ، النسائي الأشربة (5652) ، أبو داود الأشربة (3698) ، أحمد (350/5) .

(5) صحيح مسلم برقم (977) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ ﴿ زوروا القبور فإنها تذكر الموت ﴾ [1] [2] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال رسول الله ﷺ ﴿ إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة ﴾ [3] [4] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا ﴾ [5] [6] .

وعن بريدة ﷺ قال: ﴿ كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية ﴾ [7] ، رواه مسلم [8] .

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على أن مشروعية زيارة القبور بعد المنع من ذلك إنما كانت لهدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

**الأولى:** التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، والاعتبار بأهل القبور مما يزيد في إيمان الشخص ويقوي يقينه ويعظم صلته بالله، ويذهب عنه الإعراض والغفلة.

---

(1) مسلم الجنائز (976) ، النسائي الجنائز (2034) ، أبو داود الجنائز (3234) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1572) ، أحمد (2 /441) .

(2) صحيح مسلم برقم (975) .

(3) أحمد (38/3) ، مالك الضحايا (1048) .

(4) مسند أحمد (3/ 38) ، ومستدرك الحاكم (1/ 531) .

(5) أحمد (237/3) .

(6) مستدرك الحاكم (1 / 532) .

(7) مسلم الجنائز (975) ، النسائي الجنائز (2040) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1547) ، أحمد (353/5) .

(8) صحيح مسلم برقم (975) .

**الثانية:** الإحسان إلى الموتى بالدعاء لهم والترحم عليهم وطلب المغفرة لهم وسؤال الله العفو عنهم.

هذا الذي دل عليه الدليل، ومن ادعى غير ذلك طولب بالحجة والبرهان.

ثم إن السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلقة بالقبور وزيارتها، صيانة للتوحيد وحماية لجنابه، يجب على كل مسلم تعلمها ليكون في أمنة من الباطل وسلامة من الضلال، ومن ذلك:

**1 - النهي عن قول الهجر عند زيارة القبور.**

وقد تقدم قوله ﷺ ﴿ولا تقولوا هجرا﴾ [1] ، والمراد بالهجر كل أمر محظور شرعا، ويأتي في مقدمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقبورين وسؤالهم من دون الله والاستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكل ذلك من الشرك البواح والكفر الصراح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث عديدة صريحة في المنع من ذلك والنهي عنه ولعن فاعله، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله ؓ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: ﴿ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنِّي أنهاكم عن ذلك﴾ [2] [3] . فدعاء الأموات وسؤالهم الحاجات وصرف شيء من العبادة لهم شرك أكبر، أما العكوف عند القبور وتحري إجابة الدعاء عندها ومثله الصلاة في المساجد التي فيها القبور فهو من البدع المنكرة.

---

(1) النسائي الجنائز (2033) ، أبو داود الأشربة (3698) ، أحمد (355/5) .

(2) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (532) .

(3) صحيح مسلم برقم (532) .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال في مرضه الـــذي لم يقم منه: ﴿ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ [1] [2] .

**2 - الذبح والنحر عند القبور.**

فإن كان ذلك تقربا إلى المقبورين ليقضوا حاجة للشخص فهو شـــرك أكبر وإن كان لغير ذلك فهو من البدع الخطيرة التي هي من أعظم وســـائل الشرك لقوله ﷺ ﴿ لا عقر في الإسلام ﴾ [3] ، قال عبد الرزاق: ﴿ كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة ﴾ [4] [5] .

**3، 4، 5، 6، 7- رفعها زيادة على التراب الخارج منـــها، وتجصيصها، والكتابة عليها، والبناء عليها، والقعود عليها.**

فكل ذلك من البدع التي ضلت بها اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر رضي الله عنه قال: ﴿ نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القـــبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، وأن يزاد عليه، أو يكتب عليه ﴾ [6] . رواه مسلم، وأبو داود، والحاكم [7] .

**8 - الصلاة إلى القبور وعندها.**

فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها))، رواه مسلم [1] .

---

(1) البخاري الجنائز (1324) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (531) ، النسائي المساجد (703) ، أحمد (146/6) ، الدارمي الصلاة (1403) .

(2) صحيح البخاري برقم (1330) ، وصحيح مسلم برقم (531) .

(3) أبو داود الجنائز (3222) ، أحمد (197/3) .

(4) أبو داود الجنائز (3222) ، أحمد (197/3) .

(5) سنن أبي داود لرقم (3222) .

(6) مسلم الجنائز (970) ، الترمذي الجنائز (1052) ، النسائي الجنائز (2027) ، أبو داود الجنائز (3225) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1563) ، أحمد (339/3) .

(7) صحيح مسلم برقم (970) ، وسنن أبي داود برقم (3225) ، ورقم (3226) ، ومســـتدرك الحـــاكم (1 / 525) .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ الأرض كلـــها مسجد، إلا المقبرة والحمام ﴾ [2] . رواه أبو داود والترمذي [3] .

**9 - بناء المساجد عليها.**

وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى وتقدم حديث عائشة: ﴿ لعـــن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ [4] .

**10 - اتخاذها عيدا.**

وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعـــن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا تتخذوا قبري عيدا [5] ولا تجعلـــوا بيوتكم قبورا، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني ﴾ ، رواه أبـــو داود وأحمد [6] .

**11 - شد الرحال إليها.**

وهو أمر منهي عنه لأنه من وسائل الشرك فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحـــرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى ﴾ [7] . رواه البخاري ومسلم [1] .

---

(1) صحيح مسلم برقم (972) .

(2) الترمذي الصلاة (317) ، أبو داود الصلاة (492) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (745) .

(3) سنن أبي داود برقم (492) ، وسنن الترمذي برقم (317) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(4) البخاري الجنائز (1324) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (531) ، النسائي المساجد (703) ، أحمد (146/6) ، الدارمي الصلاة (1403) .

(5) العيد هو الذي يعود ويتكرر مثل عيد الفطر وعيد الأضحى ، فكون الإنسان يكرر الزيارة لقبر الرسول كل يوم من أجل السلام فكأنه يتخذه عيدا ، فنهى الرسول عن ذلـــك ، أمر المسلم أن يصلي ويسلم عليه وهو في أي مكان كان لأن لله ملائكة سياحين يبلغون الرسول السلام وهذا من يسر هذا الدين إذ ليس باستطاعة كل مسلم أن يأتي إلى المدينة .

(6) سنن أبي داود برقم (2042) ، ومسند أحمد (2/ 367) .

(7) البخاري الجمعة (1132) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1410) .

## المطلب السادس: التوسل.

أ- **تعريفه:** التوســـل مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوســـيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوســـل هو التوصل إلى المراد والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهي عنه.

**ب- معنى الوسيلة في القرآن الكريم:**

وردت لفظة " الوسيلة " في القرآن الكريم في موطنين:

1 - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2] (المائدة: 35).

2 - قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾[3] (الإسراء: 57).

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائـــل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد [4] .

وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: " نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون " [5] .

---

(1) صحيح البخاري برقم (1189) ، وصحيح مسلم (1397) .

(2) سورة المائدة آية : 35 .

(3) سورة الإسراء آية : 57 .

(4) تفسير ابن كثير (2/ 50) .

(5) صحيح مسلم برقم (3030) . وصحيح البخاري رقم (4714) .

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة والعبادات الجليلة، ولذلك قال: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [1] أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله وينالون به مرضاته من الأعمال الصالحة المقربة إليه.

**ج- أقسام التوسل:**

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

**1 - التوسل المشروع:** هو التوسل إلى الله بالوسيلة الصحيحة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما عنها، فما دل الكتاب والسنة على أنه وسيلة مشروعة فهو من التوسل المشروع، وما سوى ذلك فإنه توسل ممنوع.

**والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:**

**الأول:** التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [2] (الأعراف: 180).

**الثاني:** التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لنبيك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني، أو أن يذكر الداعي عملا صالحا ذا بال قام به فيتوسل به إلى ربه، كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة التي سيرد ذكرها.

---

(1) سورة الإسراء آية : 57 .

(2) سورة الأعراف آية : 180 .

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [1] (آل عمران: 16)، وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [2] (آل عمران: 53).

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا، وأنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت [3] عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت

(1) سورة آل عمران آية : 16 .
(2) سورة آل عمران آية : 53 .
(3) فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ، كما في حديث سالم .

بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا ﴾ . رواه البخاري [(1)] .

**الثالث:** التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه، كأن يذهب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعة الله، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج كربته وييسر أمره.

ويدل على مشروعية هذا النوع أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول ﷺ قائما فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة [(2)] ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة- ورسول الله ﷺ قائم يخطب- فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والظراب ومنابت الشجر، قال: فانقطعت،

---

(1) صحيح البخاري برقم (3465) .

(2) سحاب متفرق .

وخرجنا نمشي في الشمس﴾ . قال شـــريك: فسألت أنسا: أهو الرجل الأول ؟ قَال: لا أدري [1] .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما ﴿ذكر أن في أمته سبعين ألفـــا يدخلـــون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: ( هم الذي لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ) قام عكاشة بن محصن فقال: يا رســـول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (أنت منهم)﴾ [2] [3] . ومن ذلك حديـــث ذكـــر النبي ﷺ أويسا القرني وفيه قال: ﴿فاسألوه أن يستغفر لكـــم﴾ .

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أمـــا بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

2 - **التوسل الممنوع:** هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

1 - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغـــائبين والاســـتغاثة بهـــم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا مـــن الشـــرك الأكبر الناقل من الملة.

2 - التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعـــاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشـــرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

3 - التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصـــالحين ومكانتهم ومنـــزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشـــرعه الله ولم يأذن به. قال تعالى: ﴿

---

(1) صحيح البخاري برقم (1013) ، وصحيح مسلم رقم (897) .

(2) البخاري الطب (5420) ، مسلم الإيمان (220) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2446) ، أحمد (271/1) .

(3) صحيح البخاري برقم (5705) ، وصحيح مسلم برقم (218) .

﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ [1] (يونس: 59) ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [2] (النجم: 39)، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة رحمه الله: (( يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام)).

**د- شبهات وردها في باب التوسل.**

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الشبهات والاعتراضات في باب التوسل؛ ليتوصلوا بها إلى دعم تقريراتهم الخاطئة، وليوهموا عوام المسلمين بصحة ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

**الأول:** إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء على ما ذهبوا إليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:

1 - حديث: ﴿ توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم ﴾ ، أو ﴿ إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم ﴾ ، وهو حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث.

2 - حديث: ﴿ إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور ﴾ ، أو ﴿ فاستغيثوا بأهل القبور ﴾ ، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي ﷺ باتفاق العلماء.

3 - حديث: ﴿ لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه ﴾ ، وهو حديث باطل مناقض لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

---

(1) سورة يونس آية : 59 .

(2) سورة النجم آية : 39 .

4 - حديث: ﴿لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك﴾ [1] وهو حديث باطل لا أصل له، ومثله حديث: ﴿لولاك ما خلقت الأفلاك﴾ .

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسلم أن يلتفت إليها فضلا عن أن يحتج بها ويعتمدها في دينه.

**الثاني:** أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ يسيء هؤلاء فهمها ويحرفونا عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

1 - ما ثبت في الصحيح: ﴿أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون﴾ [2] [3] .

ففهموا من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه ومكانته عند الله عز وجل وأن المراد بقوله: ﴿كنا نتوسل إليك بنبينا [أي بجاهه] فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا﴾ [4] [أي بجاهه].

وهذا ولا ريبِ فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفا لدى الصحابة التوسل إلى الله بذات النبي ﷺ أو جاهه، وإنما

---

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج 1 / 88 ح 25 .

(2) البخاري الجمعة (964) .

(3) صحيح البخاري برقم (1010) .

(4) البخاري الجمعة (964) .

كانوا يتوسلون إلى الله بدعائه حال حياتــه كمـــا تقدم بعض هذا المعنى، وعمر ﷺ لم يرد بقوله: ﴿ إنا نتوسل إليك بعم نبينا ﴾ [1] أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد دعاءه، ولو كان التوسل بـــالذات أو الجاه معروفا عندهم لما عدل عمر عن التوسل بـــالنبي ﷺ إلى التوســـل بالعباس ﷺ بل ولقال له الصحابة إذ ذاك كيف نتوســـل بمثـــل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق، فلما لم يقـــل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه، وبعد مماتــه توســـلوا بدعاء غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعـــاء المتوســـل لا بذاته.

وبهذا يتبين أن الحديث ليس فيه متمسك لمن يقول بجـــواز التوســـل بالذات أو الجاه.

2 - حديث عثمان بن حنيف: ﴿ أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضـــوءه ويدعـــو بهـــذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في ﴾ [2]، رواه الـــترمذي وأحمد وقال البيهقي إسناده صحيح [3].

ففهموا من الحديث أنه يدل على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ أو غـــيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمى قد طلب مـــن النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: ﴿ إن شئت صبرت وإن شئت دعوت ﴾ [4] ، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديـــث المصرحة بأن هذا توسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهـــل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ﷺ

---

(1) البخاري الجمعة (964) .

(2) الترمذي الدعوات (3578) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1385) .

(3) سنن الترمذي برقم (3578) ، ومسند أحمد (4 / 138) .

(4) البخاري المرضى (5328) ، مسلم البر والصلة والآداب (2576) ، أحمد (347/1) .

ودعائه المستجاب، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ولهذا أورده البيهقي في دلائل النبوة [1] .

وأما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعذر دعاء النبي ﷺ لأحد بعد الموت، كما قال النبي ﷺ ﴿ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له ﴾ [2] ، رواه مسلم [3] .

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.

وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أو لعدم دلالته على ما ذهبوا إليه.

## المطلب السابع: الغلو.

أ- **تعريفه**: الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق.

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العبادة.

ب- **حكمه**: التحريم؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذير منه وبيان سوء عواقبه على أهله في العاجل والآجل. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [4] (النساء: 171).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [5] (المائدة: 77).

---

(1) دلائل النبوة للبيهقي (6 / 167) .

(2) مسلم الوصية (1631) ، الترمذي الأحكام (1376) ، النسائي الوصايا (3651) ، أبو داود الوصايا (2880) ، أحمد (2 /372) ، الدارمي المقدمة (559) .

(3) صحيح مسلم برقم (1631) .

(4) سورة النساء آية : 171 .

(5) سورة المائدة آية : 77 .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين﴾ [1]، رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي [2].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿هلك المتنطعون﴾ [3]، قالها ثلاثا، رواه مسلم [4].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله﴾ [5]، رواه البخاري [6].

والمراد هذا الحديث، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بما وصفني به ربي، وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى الضلال إلا مخالفة لأمره وارتكابا لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك له، وكل ذلك من الغلو في الدين.

---

(1) النسائي مناسك الحج (3057) ، ابن ماجه المناسك (3029) ، أحمد (347/1) .

(2) المسند (1 / 347) ، والمستدرك (1 / 638) .

(3) مسلم العلم (2670) ، أبو داود السنة (4608) ، أحمد (386/1) .

(4) صحيح مسلم برقم (2670) .

(5) البخاري أحاديث الأنبياء (3261) ، أحمد (24/1) .

(6) صحيح البخاري برقم (3445) .

## المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما

**وفيه مطالب**

ما من ريب أن في معرفة المسلم للشرك والكفر وأسبابهما ووسائلهما وأنواعهما فوائد عظيمة، إذا عرفها معرفة يقصد من ورائها السلامة من هذه الشرور والنجاة من تلك الآفات، والله سبحانه يحب أن تعرف سبيل الحق لتحب وتسلك، ويحب أن تعرف سبل الباطل لتجتنب وتبغض، والمسلم كما أنه مطالب بمعرفة سبيل الخير ليطبقها، فهو كذلك مطالب بمعرفة سبل الشر ليحذرها، ولهذا ثبت في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال: ﴿ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ﴾ [1] [2] .

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه " إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ".

والقرآن الكريم مليء بالآيات المبينة للشرك والكفر والمحذرة من الوقوع فيهما، والدالة على سوء عاقبتهما في الدنيا والآخرة، بل إن ذلك مقصد عظيم من مقاصد القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ ﴾ [3] (الأنعام: 55).

وفيما يلي ذكر لبعض المطالب المهمة المتعلقة بهذا الجانب.

### المطلب الأول: الشرك.

أ- **تعريفه:** يطلق الشرك في اللغة على التسوية بين الشيئين.

وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

---

(1) البخاري المناقب (3411) ، مسلم الإمارة (1847) ، أحمد (387/5) .

(2) صحيح البخاري برقم (7084) ، وصحيح مسلم برقم (1847) .

(3) سورة الأنعام آية : 55 .

**1 - المعنى العام:** تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سبحانه، ويندرج تحته ثلاثة أنواع:

**الأول:** الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجاد والإماتة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [1] (فاطر: 3).

**الثاني:** الشرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غير الله بالله في شيء منها، والله تعالى يقول: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [2] ( الشورى: 11 ).

**الثالث:** الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الألوهية، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ ﴾ [3] (البقرة: 165).

**2 - المعنى الخاص:** وهو أن يتخذ لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهذا هو المعنى المتبادر من كلمة " الشرك " إذا أطلقت في القرآن أو السنة.

---

(1) سورة فاطر آية : 3 .

(2) سورة الشورى آية : 11 .

(3) سورة البقرة آية : 165 .

**ب- الأدلة على ذم الشرك وبيان خطره.**

لقد تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطـــره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

1 - فقد أخبر الله ســبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منـــه قبل الموت، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [1] (النساء: 48).

2 - ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [2] ( لقمان: 13 ).

3 - وأخبر أنه محبط للأعمال، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [3] (الزمر: 65).

4 - ووصفه بأن فيه تنقصا لرب العالمين ومساواة لغيره به، فقال تعالى: ﴿ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [4] (الشعراء: 96- 98).

5 - وأخبر أن من مات عليه يكون مخلدا في نار جهنم، فقال تعـــالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ [5] (المائدة: 72).

---

(1) سورة النساء آية : 48 .

(2) سورة لقمان آية : 13 .

(3) سورة الزمر آية : 65 .

(4) سورة الشعراء آية : 96 - 98 .

(5) سورة المائدة آية : 72 .

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة، وهي كثيرة جدا في القرآن الكريم.

**ج- سبب وقوع الشرك:**

إن أصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هو الغلو في الصالحين المعظمين، وتجاوز الحد في إطرائهم ومدحهم والثناء عليهم، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ۝٢٤ ﴾ [1] (نوح: 23- 24).

فهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح لما ماتوا جعلوا لهم أصناما على صورهم وسموها بأسمائهم قاصدين بذلك تعظيمهم وتخليد ذكرهم وتذكر فضلهم إلى أن آل بهم الأمر إلى عبادتهم.

ويشهد لهذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ (ونسخ العلم) [2] العلم عبدت " [3] .

روى ابن جرير الطبري عن محمد بن قيس عند قوله تعالى: وقالوا لا تذرن آلهتك الآية، قال: " كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون هم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا

(1) سورة نوح آية : 23 - 24 .

(2) أي علم تلك الصور بخصوصها .

(3) صحيح البخاري برقم (4920) .

ذكرناهم، فصوروهم، فلما مـــاتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهـــم يســـقون المطر، فعبدوهم " [1] . فجمعوا بين فتنتين:

الأولى: العكوف عند قبورهم.

الثانية: تصوير صورهم ونصبها في مجالسهم والجلوس إليها.

فبهذا وقع الشرك لأول مرة في تاريخ البشرية فهما أعظم وسائل الشرك في كل زمان ومكان.

**د- أنواع الشرك:** ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر.

**1 - الشرك الأكبر:** هو اتخاذ ند مع الله يعبد كما يعبد الله، وهـــو ناقل من ملة الإسلام محبط للأعمال كلها، وصاحبه إن مات عليه يكـــون مخلدا في نار جهنم لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع:

1 - شرك الدعوة، أي الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظـــم أنـــواع العبادة، بل هو لب العبادة كما قال النبي ﷺ ﴿الدعاء هو العبـــادة﴾ [2] ، رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح [3] قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [4] (غافر: 60).

ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمن دعا نبيا أو ملكـــا أو وليا أو قبرا أو حجرا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر، كمـــا قال تعالى: ﴿ وَمَن

(1) تفسير الطبري (12 / 254) .
(2) الترمذي تفسير القرآن (2969) ، ابن ماجه الدعاء (3828) .
(3) مسند أحمد (4 / 267) ، وسنن الترمذي برقم (2969) .
(4) سورة غافر آية : 60 .

يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [1] (المؤمنون: 117).

ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] (العنكبوت: 65)، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنهم يشركون بالله في رخائهم، ويخلصون له في كربهم وشدتهم، فكيف بمن يشرك بالله في الرخاء والشدة عياذا بالله.

2 - شرك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخلص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3] (هود: 15-16).

وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

3 - شرك الطاعة، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، ويعتقد ذلك بقلبه أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا ويسوغ له ولغيره طاعته في ذلك مع علمه بأنه مخالف لدين الإسلام فقد اتخذهم أربابا من دون الله وأشرك بالله الشرك الأكبر.

---

(1) سورة المؤمنون آية : 117 .

(2) سورة العنكبوت آية : 65 .

(3) سورة هود آية : 15 - 16 .

قال الله تعـــالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ [1] (التوبة: 31).

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصيـــة (أي في تبديل حكـــم الله) لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حـــاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم ؟ فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصيـــة (في تبديل حكـــم الله)، فقال: ﴿ أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون مـــا حرم الله فتحلونه ﴾ ، قال: بلى. قال: ﴿ فتلك عبادتهم ﴾ ، رواه الترمذي وحسنه، والطبراني في المعجم الكبير [2] .

4 - شرك المحبة، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجـــلال والتعظيـــم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر، والدليل قوله تعـــالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [3] (البقرة: 165).

**2- النوع الثاني من أنواع الشرك، الشرك الأصغر:**

وهو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو مـــا جاء في النصوص تسميته شركا ولم يصل إلى حد الأكبر، وهو يقع في هيئـــة العمل وأقوال اللسان. وحكمه تحت المشيئة كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته ما يلي:

---

(1) سورة التوبة آية : 31 .

(2) سنن الترمذي برقم (3095) ، والمعجم الكبير للطبراني (17 / 92) .

(3) سورة البقرة آية : 165 .

أ- يسير الرياء، والدليل ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال: (الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ﴾ [1] [2] .

ب- قول: " ما شاء الله وشئت "، روى أبو داود في سننه عن النبي ﷺ ﴿ لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان ﴾ [3] [4] .

ج- قول: " لولا الله وفلان "، أو قول: " لولا البط لأتانا اللصوص "، ونحو ذلك، روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [5] قال: " الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لأصحابه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك " [6].

**الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:**

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

---

(1) أحمد (428/5) .

(2) مسند أحمد (5 / 428) ، قال المنذري إسناده جيد ، الترغيب والترهيب (1 / 48) ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، مجمع (1/ 102) .

(3) أبو داود الأدب (4980) ، أحمد (399/5) .

(4) سنن أبي داود برقم (4980) ، قال الذهبي في مختصر البيهقي (1 / 140 / 2) إسناده صالح .

(5) سورة البقرة آية : 22 .

(6) تفسير ابن أبي حاتم (1 / 62) .

1 - أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحـــت المشيئة.

2- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فـــلا يحبـــط إلا العمل الذي قارنه.

3- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغـــر فلا يخرجه منها.

4- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليـــه الجنـــة، وأمـــا الأصغر فكغيره من الذنوب.

## المطلب الثاني: الكفر.

**أ- تعريفه:** الكفر لغة يطلق على الستر والتغطية.

وشـــرعـــا: ضد الإيمان، وهـــو: عدم الإيمان بالله ورســـوله، ســـواء كان معـــه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عـــن شـــك وريـــب، أو إعراض عن ذلك حسدا وكبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتبـــاع الرسالة.

**ب- أنواع الكفر:**

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلـــود في النـــار، والأصغـــر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

**أولا: الكفر الأكبر:**

وهو خمسة أنواع:

أ- كفـــر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرســـل عليهم الســـلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعـــالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [1] (العنكبوت: 68).

2 - كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2] (البقرة: 34).

3 - كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال لـه كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] (الكهف: 35- 38).

4 - كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعـرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [4] (الأحقاف: 3).

---

(1) سورة العنكبوت آية : 68 .

(2) سورة البقرة آية : 34 .

(3) سورة الكهف آية : 35 - 38 .

(4) سورة الأحقاف آية : 3 .

5 - كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطـــن الكفر [1] والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ﴾ [2] (المنافقون: 3).

**والنفاق على ضربين:**

1 - نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملة وهـــو ســـتة أنـــواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغـــض ما جاء به، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصـــار ديـــن الرسول.

2 - ونفاق عملي وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنـــه جريمـــة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث حيث قال: ﴿ أربـــع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كـــانت فيـــه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حـــدث كـــذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ﴾ [3] متفق عليه [4] .

وقال عليه الصلاة والسلام: ﴿ آية المنافق ثلاث: إذا حدث كـــذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان ﴾ [5] ، رواه البخاري [6] .

---

(1) مدارج السالكين (1 / 346) .

(2) سورة المنافقون آية : 3 .

(3) البخاري الإيمان (34) ، مسلم الإيمان (58) ، الترمذي الإيمان (2632) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5020) ، أبو داود السنة (4688) ، أحمد (189/2) .

(4) صحيح البخاري برقم (34) ، وصحيح مسلم برقم (58) .

(5) البخاري الإيمان (33) ، مسلم الإيمان (59) ، الترمذي الإيمان (2631) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5021) ، أحمد (536/2) .

(6) صحيح البخاري برقم (33) .

## ثانيا: الكفر الأصغر:

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [1] (النحل: 112).

وفي قوله ﷺ ﴿ اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت ﴾ [2] ، رواه مسلم [3] .

وفي قوله ﷺ ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [4] ، رواه البخاري ومسلم [5].

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [6] (الحجرات: 9، 10)، فسماهم الله ﷻ مؤمنين مع الاقتتال.

---

(1) سورة النحل آية : 112 .

(2) مسلم الإيمان (67) ، الترمذي الجنائز (1001) .

(3) صحيح مسلم برقم (67) .

(4) البخاري العلم (121) ، مسلم الإيمان (65) ، النسائي تحريم الدم (4131) ، ابن ماجه الفتن (3942) ، أحمد (358/4) ، الدارمي المناسك (1921) .

(5) صحيح البخاري برقم (121) ، وصحيح مسلم برقم (65) .

(6) سورة الحجرات آية : 9 ، 10 .

ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [1] (النساء: 48)، فدلـــت الآية الكريمة على أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شـــاء الله عذبـــه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفـــره كما هو صريح في الآية وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [2] (المائدة: 72).

(1) سورة النساء آية : 48 .

(2) سورة المائدة آية : 72 .

## المبحث الخامس: ادعاء علم الغيب وما يلحق به

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله ﷻ بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [1] (النمل: 65)، وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [2] (الكهف: 26)، وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [3] (الرعد: 9).

فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [4] (هود: 31)، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾ [5] (الأحقاف: 23)، وقال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [6] (الأنعام: 50)، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [7] (البقرة: 31- 32).

---

(1) سورة النمل آية : 65 .
(2) سورة الكهف آية : 26 .
(3) سورة الرعد آية : 9 .
(4) سورة هود آية : 31 .
(5) سورة الأحقاف آية : 23 .
(6) سورة الأنعام آية : 50 .
(7) سورة البقرة آية : 31 - 32 .

ثم إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريق الوحي، كما قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ۝ ﴾ [1] (الجن: 26-28)، وهذا من الغيب النسبي الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به.

ولهذا فإن الواجب على كل مسلم أن يحذر من الدجاجلة والكذابين المدعين لعلم الغيب المفترين على الله، الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، كالسحرة والكذابين والمنجمين، وغيرهم.

وفيما يلي عرض لجملة من أعمال هؤلاء التي يدعون بها علم الغيب، ويضلون بها عوام المسلمين وجهالهم، ويفسدون بها عقيدتهم وإيمانهم.

**1 - السحر:** وهو في اللغة ما خفي ولطف سببه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثِّر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝ ﴾ [2] (البقرة: 102).

(1) سورة الجن آية : 26 - 28 .

(2) سورة البقرة آية : 102 .

ومنه النفث في العقد، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾ [1] .

**2 - التنجيم:** وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ﴾ [2] ، رواه أبـــو داود [3] .

**3 - زجر الطير والخط في الأرض:** فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قـــال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ العيافة والطيرة والطرق من الجبت ﴾ [4] [5] أي من السحر، والعيافة زجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرها، والطرق الخـــط يخط في الأرض، أو الضرب بالحصى وادعاء علم الغيب.

**4 - الكهانة:** وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها اســـتراق الجـــن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ من أتى كاهنـــا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنـــزل على محمد ﷺ ﴾ [6] رواه أبو داود وأحمـــد والحاكـــم [7] .

---

(1) سورة الفلق آية : 1 - 5 .

(2) أبو داود الطب (3905) ، ابن ماجه الأدب (3726) ، أحمد (227/1) .

(3) سنن أبي داود برقم (3905) .

(4) أبو داود الطب (3907) ، أحمد (477/3) .

(5) سنن أبي داود برقم (3907) ، ومسند أحمد (3 / 477) .

(6) الترمذي الطهارة (135) ، أبو داود الطب (3904) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (639) ، أحمد (429/2) ، الدارمي الطهارة (1136) .

(7) سنن أبي داود (3904) ، ومسند أحمد (2 / 429) ، المستدرك (1 / 50) قال الحاكم صحيح على شـــرط الشيخين ووافقه الذهبي .

5 - **كتابة حروف أبا جاد:** وذلك بأن يجعل لكل حرف منها قـــدرا معلوما من العدد ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنـــة والأمكنـــة، ثم يحكم عليها بالسعود أو النحوس ونحو ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوم يكتبون أبا جاد، وينظـــرون في النجوم: ((ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق))، رواه عبد الرزاق في المصنف [1] .

6 - **القراءة في الكف والفنجان** ونحو ذلك مما يدعي به بعض هـــؤلاء معرفة الحوادث المستقبلة من موت وحياة وفقر وغنى وصحة ومرض ونحـــو ذلك.

7 - **تحضر الأرواح:** ويزعم أربابه أنهم يستحضرون أرواح الموتـــى ويسألونها عن أخبار الموتى من نعيم وعذاب وغير ذلك، وهو نـــوع مـــن الدجل والشعوذة الشيطانية، ويراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيـــس على الجهال وأكل أموالهم بالباطل والتوصل إلى دعوى علم الغيب.

8 - **التطير:** وهو التشاؤم بالسوانح والبوارح مـــن الطـــير والظبـــاء وغيرها، وهذا باب من الشرك وهو من إلقاء الشيطان وتخويفه.

فعن عمران بن حصين مرفوعا: ﴿ليس منا من تطير أو تطـــير لـــه، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقـــول فقد كفر بما أنـــزل على محمد ﷺ﴾ ، رواه البزار [2] .

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين، ويمنحهم الفقه في الدين، ويعيذهم من خداع المجرمين وتلبيس أولياء الشياطين.

---

(1) المصنف (11 / 26) .

(2) مسند البزار (9 / 52) (3578) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (5/ 117) رجاله رجال الصحيح .

## الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: الإيمان بالأسماء والصفات وأثر ذلك على المسلم.

المبحث الأول: تعريفه وأدلته.

أولا: تعريفه.

ثانيا: المنهج الحق في إثباته.

ثالثا: أدلة هذا المنهج.

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: قواعد في باب الأسماء والصفات.

## التمهيد

## الإيمان بالأسماء والصفات

## وأثر ذلك في سلوك المسلم

إن للإيمان بأسماء الله وصفاته آثارا عظيمة في نفس المسلم وتحقيقه لعبادة ربه. فمن آثارها تلك المعاني التي يجدها العبد في عبوديته القلبية التي تثمر التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، وحفظ جوارحه، وخطرات قلبه، وضبط هواجسه حتى لا يفكر إلا فيما يرضي الله تعالى، ويحب لله وفي الله، به يسمع، وبه يبصر، ومع ذلك هو واسع الرجاء وحسن الظن بربه.

هذه المعاني وغيرها مما يتعلق بالإيمان بمعاني الأسماء والصفات تثمر العبودية الظاهرة والباطنة على تفاوت بين شخص وآخر وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فلاسمه "الغفار" أثره العظيم في محبته وعدم اليأس من رحمته ولاسمه " شديد العقاب " أثره الكبير في خشيته وعدم الجرأة على محارمه. وهكذا لأسمائه الأخرى وصفاته آثارها بحسب دلالاتها المتنوعة في نفس المسلم واستقامته على شرع الله بل وتحقيق محبته في القلوب التي هي أساس سعادة المسلم في الدنيا والآخرة، ومفتاح كل خير وأعظم عون للعبد على عبادته لربه على أكمل الوجوه إذ الأعمال الظاهرة تخف وتثقل على النفس بحسب المحبة القلبية لله تعالى.

فإكمال العمل وتحسينه على ما أراد الله منوط بالمحبة القلبية لله. والمحبة منوطة بمعرفة الله بأسمائه وصفاته. ولهذا كان أعظم الناس عبادة لله رسل الله الذين هم أعظم الناس محبة له وأعرفهم به.

## المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلته

### أولا: تعريفه:

توحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ ونفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنـه رسـوله ﷺ مـن الأسمـاء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها واستشعار آثارهـا ومقتضياتها في الخلق.

### ثانيًا: المنهج في إثباته:

يقوم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات على الإيمان الكامل والتصديق الجازم بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غـير تحريـف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

**والتحريف:** هو التغيير وإمالة الشيء عن وجهه. وهو قسمان:

1 - تحريف لفظي. وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص أو تغيير حركة في الكلمة كتحريف كلمة استوى في قولـه تعـالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [1] (طه: 5) إلى استولى. قال صاحب النونيـة:

**نـون اليـهود ولام جهمي هما    في وحي رب العرش زائدتان**

2 - تحريف معنوي. وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منـه كمن فسر " اليد " لله تعالى بالقوة أو النعمة. فإن هذا تفسير باطل لا يـدل عليه الشرع ولا اللغة.

**والتعطيل:** هو نفي صفات الله تعالى كمن زعم أن الله تعالى لا يتصـف بصفة.

(1) سورة طه آية : 5 .

والفرق بين التحريف والتعطيل هو أن التحريف نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح أما التعطيل فهو نفـــي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر.

**والتكييف:** تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعـــل بعـــض المنحرفين في هذا الباب الذين يكيفون صفات الله فيقولون كيفية يده: كـــذا وكذا، وكيفية استوائه على هيئة كذا وكذا. فإن هذا باطل إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك ويعجزون عـــن إدراكه.

**والتمثيل:** هو التشبيه كمن يقول لله سمع كسمعنا ووجه كوجوهنا تعـــالى الله عن ذلك.

وينتظم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات في ثلاثة أصول من حققـــها سلم من الانحراف في هذا الباب. وهي:

**الأصل الأول:** تنـــزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

**الأصل الثاني:** الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه وبما سماه ووصفه بـــه رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته.

**الأصل الثالث:** قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعـــالى لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل.

فمن حقق هذه الأصول الثلاثة فقد حقق الإيمان الواجب في باب الأسمـــاء والصفات على ما قرره الأئمة المحققون في هذا الباب.

**ثالثًا: أدلة هذا المنهج:**

دلت الأدلة من كتاب الله تعالى على تقرير هذا المنهج.

**فمن الأدلة على الأصل الأول:** وهو تنـــزيه الرب ﷻ عن مشابهة المخلوقين، قول الله تبارك وتعـــالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1] (الشورى: 11). ومقتضى الآية نفي المماثلة بين الخالق والمخـــلوق من كل وجه مع إثبات السمع والبصر لله ﷻ وفي هذا إشـــارة إلى أن ما يثبت لله من الســـمع والبصر ليس كما يثبت للمخلوقين من هاتين الصفتين مع كثـــرة من يتصف بهما من المخلوقين. وما يقال في الســـمع والبصر يقال في غيرهما من الصفات. واقرأ قوله تعـــالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [2] .

أورد ابن كثير في تفسير الآية مـــا رواه البخـــاري في التوحيـــد (13 372) والإمام أحمد في المسند (6 46) عن عائشة رضي الله عنـــها قالت: " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع فأنزل الله عز وجـــل ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ [3] .... إلى آخر الآية ". [4] .

ومن الأدلة أيضًا قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ ﴾ [5] (النحل: 74). قال الطبري في تفسير الآية: " فلا تمثلوا لله الأمثال ولا تشبهوا له الأشباه فإنه لا مثل له ولا شبه " [6] .

وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [7] (مريم: 65) قال ابن عبـــاس رضي الله عنهما في تفسيرها: " هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهًا ".

---

(1) سورة الشورى آية : 11 .
(2) سورة المجادلة آية : 1 .
(3) سورة المجادلة آية : 1 .
(4) ابن كثير (8/ 60) .
(5) سورة النحل آية : 74 .
(6) الطبري (7 / 621) .
(7) سورة مريم آية : 65 .

ومن الأدلة لهذا الأصل: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [1] (الإخلاص: 4) قال الطبري: " و لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء ".

**ومن الأدلة على الأصل الثاني:** وهو الإيمان بما جاء في الكتاب والسـنة من أسماء الله وصفاته، قول الله ﷻ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [2] (البقرة: 255). وقوله تعـالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [3] (الحديد: 3). وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [4] (الحشر: 22- 24).

ومن السنة حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه قال: كـان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: ﴿ اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنـوى، ومنـزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل دابة أنـت آخـذ بناصيتها. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت

(1) سورة الإخلاص آية : 4 .
(2) سورة البقرة آية : 255 .
(3) سورة الحديد آية : 3 .
(4) سورة الحشر آية : 22 - 24 .

الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّيْن وأغْنِنا من الفقر ﴾ [1] [2] . والنصوص في تقرير هذا الباب كثيرة تجل عـــن الحصر.

**وأما الأصل الثالث** وهو قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله تبـــارك وتعالى فقد دل عليه قول الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [3] (طه: 110). قال بعض أهل العلم في معنى الآية: " لا إحاطة للعلم البشري برب السماوات والأرض فينفي جنس أنواع الإحاطـــة عـــن كيفيتها ".

ومن الأدلة لهذا الأصل أيضًا قول الله تعـــالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [4] (الأنعام: 103) قال بعض العلماء في معرض حديثه عن الآية: " وهذا يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكـــمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك وهو الإحاطة بالشيء قدر زائد علـــى الرؤية فالرب يرى في الآخرة ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط بعلمه ". وينبغي للعاقل أن يعلم أن للعقل حدا يصل إليه ولا يتعداه كما أن للسمع والبصر حدا ينتهيان إليه، فمن تكلف ما لا يمكن أن يدرك بالعقل كالتفكر في كيفية صفات الله، فهو كالذي يتكلف أن يبصر ما وراء الجدار أو يسمع الأصوات في الأماكن البعيدة جدا عنه.

---

(1) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2713) ، الترمذي الدعوات (3481) ، أبو داود الأدب (5051) ، ابن ماجه الدعاء (3831) ، أحمد (404/2) .

(2) صحيح مسلم برقم (2713) .

(3) سورة طه آية : 110 .

(4) سورة الأنعام آية : 103 .

## المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة

دل الكتاب والسنة على إثبات الأسماء والصفات للرب عـــز وجــــل في مواطن كثيرة من أوجه متعددة وفي سياقات متنوعة.

والأسماء والصفات الثابتة بالكتاب والسنة كثيرة جدًّا دونت فيها الكتـــب والمصنفات وعد أهل العلم الكثير منها. ونذكر هنا طائفة منها على ســـبيل التمثيل لا الحصر.

**فمن أسماء الله تعالى:**

**الحي والقيوم:**

وقد دل على هذين الاسمين الكتاب والسنة. فمن الكتاب قول الله تعـــالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [1] (البقرة: 255). ومن السنة حديث أنس بـــن مالك ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في حلقة ورجل قائم يصلي فلمـــا ركـــع وسجد وتشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إلـــه إلا أنت بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ ﴿لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى﴾ [2] [3] .

**الحميد:**

وقد دل عليه قـــول الله عـــز وجـــل: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧ ﴾ [4] (البقرة: 267). ومن السنة حديث كعب بن عُجْرَة في التشـــهد أن النبي ﷺ

(1) سورة البقرة آية : 255 .

(2) الترمذي الدعوات (3475) ، ابن ماجه الدعاء (3857) .

(3) رواه الحاكم برقم (1856) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(4) سورة البقرة آية : 267 .

علمهم أن يقولوا: ﴿اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت علـــى إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد﴾ [1] ... ) [2] .

**الرحمن والرحيم:**

وقد دل عليهما قـــول الله تعـــالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [3] (الفاتحة: 2، 3).

ومن السنة أمر النبي ﷺ كاتبه يوم الحديبية عند كتابة الصلح بينه وبـــين المشركين أن يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) [4] .

**الحليم:**

ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١ ﴾ [5] (فاطر: 41).

ومـــن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عنـــد الكرب: ﴿لا إله إلا الله العظيم الحليم﴾ [6] .. ) الحديث. [7] .

---

(1) البخاري أحاديث الأنبياء (3190) ، مسلم الصلاة (406) ، الترمذي الصلاة (483) ، النسائي السهو (1288) ، أبو داود الصلاة (976) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (904) ، أحمد (244/4) ، الدارمي الصلاة (1342) .

(2) صحيح البخاري برقم (3370) ، ومسلم برقم (406) .

(3) سورة الفاتحة آية : 2 ، 3 .

(4) صحيح البخاري برقم (2731) .

(5) سورة فاطر آية : 41 .

(6) البخاري الدعوات (5985) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2730) ، الترمذي الدعوات (3435) ، ابن ماجه الدعاء (3883) ، أحمد (280/1) .

(7) رواه البخاري برقم (6345) ، ومسلم برقم (2730) .

**ومن صفات الله:**

**القدرة:**

وهي صفة ذاتية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. ومعنى ذاتية: أي ملازمة لذات الله لا تنفك عنه سبحانه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [1] (البقرة: 20).

ومن السنة حديث عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى النبي ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ ﴿ ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثًا وقل، سبع مرات: (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ﴾ [2] [3].

**الحياة:**

وهي من صفات الله الذاتية. وهي مشتقة من اسمه الحي وقد تقدم ذكر الأدلة عليها.

**العلم:**

صفة ذاتية لله تعالى وثبوتها بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ﴾ [4] (البقرة: 255). ومن السنة حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في الاستخارة: ﴿ اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ﴾ [5] ... ) [6].

(1) سورة البقرة آية : 20 .

(2) مسلم السلام (2202) ، الترمذي الطب (2080) ، أبو داود الطب (3891) ، ابن ماجه الطب (3522) ، أحمد (217/4) ، مالك الجامع (1754) .

(3) رواه مسلم برقم (2202) .

(4) سورة البقرة آية : 255 .

(5) البخاري الجمعة (1113) ، الترمذي الصلاة (480) ، النسائي النكاح (3253) ، أبو داود الصلاة (1538) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1383) ، أحمد (344/3) .

(6) رواه البخاري برقم (6382) .

**الإرادة:**

وهي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة. والصفات الفعلية هـــي المتعلقَـــة بمشيئة الله وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها. قال تعـــالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ﴾ [1] (الأنعام: 125). ومن الســـنة حديـــث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـــول: ﴿ إذا أراد الله بقوم عذابًا، أصاب العذاب من كـــان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم ﴾ [2] [3] .

**العلو:**

وهو صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعـــالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۞ ﴾ [4] (الأعلى: 1). وقال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ [5] (النحـــل: 50). ومن السنة حديث أبي هريرة المتقدم في المبحث الأول في الذكر عند النـــوم وفيه: (... ﴿ اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليـــس بعـــدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونـــك شـــيء ﴾ [6] ... ) [7] .

---

(1) سورة الأنعام آية : 125 .

(2) البخاري الفتن (6691) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2879) ، أحمد (40/2) .

(3) رواه مسلم برقم (9287) .

(4) سورة الأعلى آية : 1 .

(5) سورة النحل آية : 50 .

(6) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2713) ، الترمذي الدعوات (3481) ، أبو داود الأدب (5051) ، ابن ماجه الدعاء (3831) ، أحمد (536/2) .

(7) رواه مسلم برقم (2713) .

**الاستواء:**

وهو صفة فعلية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [1] (طه: 5). وعن قتادة بن النعمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه» [2]. ومعنى الاستواء في لغة العرب: العلو والارتفاع، والاستقرار والصعود واستواء الله تعالى على عرشه استواء يليق بجلاله.

**الكلام:**

وهو صفة ذاتية باعتبار النوع وصفة فعلية باعتبار أفراد الكلام فهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء بكلام مسموع، وقد دل على صفة الكلام الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ۝ ﴾ [3] (النساء: 164)، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [4] (الأعراف: 143).

ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده» [5] ... ) الحديث. [6] .

(1) سورة طه آية : 5 .

(2) رواه الذهبي في العلو برقم (119) وقال : رواته ثقات ، رواه الخلال في كتاب السنة .

(3) سورة النساء آية : 164 .

(4) سورة الأعراف آية : 143 .

(5) البخاري تفسير القرآن (4461) ، مسلم القدر (2652) ، الترمذي القدر (2134) ، أبو داود السنة (4701) ، ابن ماجه المقدمة (80) ، أحمد (314/2) ، مالك الجامع (1660) .

(6) رواه البخاري برقم (6614) ، ومسلم برقم (2652) .

**الوجه:**

وهو صفة ذاتية خبرية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [1] (البقرة: 272). وقوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾ [2] (الرحمن: 27)، ومن السنة حديث جابر بن عبد الله قال: (لما نـزلت: هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [3] قال النبي ﷺ ﴿ أعوذ بوجهك ﴾ [4] . فقال: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [5] فقال النبي ﷺ ﴿ أعوذ بوجهك ﴾ [6] . قال ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ [7] (الأنعام: 65). فقال النبي ﷺ ﴿ هذا أيسر ﴾ [8] [9] .

**اليدان:**

وهي صفة ذاتية خبرية لله ﷻ وثبوتها بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ [10] (المائدة: 64). وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ ﴾ [11] (ص: 75). ومن السنة حديث أبي موسى

---

(1) سورة البقرة آية : 272 .

(2) سورة الرحمن آية : 27 .

(3) سورة الأنعام آية : 65 .

(4) البخاري تفسير القرآن (4352) ، الترمذي تفسير القرآن (3065) ، أحمد (309/3) .

(5) سورة الأنعام آية : 65 .

(6) البخاري تفسير القرآن (4352) ، الترمذي تفسير القرآن (3065) ، أحمد (309/3) .

(7) سورة الأنعام آية : 65 .

(8) البخاري تفسير القرآن (4352) ، الترمذي تفسير القرآن (3065) ، أحمد (309/3) .

(9) رواه البخاري برقم (7406) .

(10) سورة المائدة آية : 64 .

(11) سورة ص آية : 75 .

الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ قال: ﴿إن الله يبسط يـــده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليـــل حتى تطلع الشمس من مغربها﴾ [1] [2] .

**العينان:**

وهي صفة ذاتية خبرية ثابتة لله ﷻ بالكـــتاب والسنة. فمن الكتـــاب قول الله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩ ﴾ [3] (طه: 39). وقوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [4] (هود: 37). ومن السنة حديث عبد الله بن عمـــر رضـــي الله عنهما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿إن الله لا يَخْفى عليكـــم إن اللّه ليس بأعور وأشار بيده إلى عينيه، وإن المسيح الدجال أعور العـــين اليمنى كأنّ عينه عنبة طافية﴾ [5] [6] .

**القدم:**

وهي صفة ذاتية ثابتة للرب ﷻ بالأحاديث الصحيحة. ومن ذلـــك حديث أبي هريرة في تحاجج الجنة والنار وفيه: (... ﴿فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى

---

(1) مسلم التوبة (2759) ، أحمد (395/4) .
(2) رواه مسلم برقم (2759) .
(3) سورة طه آية : 39 .
(4) سورة هود آية : 37 .
(5) البخاري التوحيد (6972) ، مسلم الإيمان (169) ، أحمد (127/2) .
(6) رواه البخاري برقم (7407) ، ومسلم برقم (2933) .

رجله، تقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ﴾ [1] ... ) [2] . وفي بعض الروايات في الصحيحين ﴿ فيضع قدمه عليـــها ﴾ [3] ... ) [4] .

وأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة كثيرة لا تحصى وإنما هـــذه أمثلة ويجب على المسلم إثباتها لله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وكمالـــه، كما أثبتها الله لنفسه في كتابه، وهو أعلم بنفسه من خلقه، وأثبتها له رسوله ﷺ في سنته وهو أعلم الخلـــق بربـــه وأكملـــهم نصحًـــا وأفصحهم وأبلغهم بيانًا وأتقاهم وأخشاهم له، وليحذر من تعطيل الله مـــن صفاته أو تشبيهها بصفات المخلوقـــين لأن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ [5] (الشورى: 11).

---

(1) البخاري تفسير القرآن (4569) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2847) ، الترمذي صفة الجنة (2557) ، أحمد (507/2) .

(2) رواه البخاري برقم (4850) ومسلم برقم (2846) .

(3) البخاري تفسير القرآن (4569) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2846) ، الترمذي صفة الجنة (2557) ، أحمد (507/2) .

(4) رواه البخاري برقم (4848 ، 4849) ومسلم برقم (2848) .

(5) سورة الشورى آية : 11 .

## المبحث الثالث: قواعد في باب الأسماء والصفات

### القاعدة الأولى: القول في الصفات كالقول في الذات

وبيانها: أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته، ولا أفعاله. فإذا كان لله ذات حقيقية لا تماثل الذوات بلا خلاف فكذلك الصفات الثابتة له في الكتاب والسنة، هي صفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات فالقول في الذات والصفات من باب واحد.

وهذه قاعدة عظيمة يناقش بها من ينكر الصفات مع إثباته الذات فإن إثبات الذات للرب ﷻ محل إجماع الأمة.

فإذا قال قائل: لا أثبت الصفات لأن في إثباتها تشبيهًا لله بخلقه.

يقال له: أنت تثبت لله ذاتًا حقيقية وتثبت للمخلوقين ذواتًا أفليس هذا تشبيهًا على قولك !! فإن قال: إنما أثبت ذاتًا لله لا تشبه الذوات ولا يسعه غير هذا. قيل له يلزمك هذا في باب الصفات فإن كانت الذات لا تشبه الذوات وهو حق فكذلك صفات الذات الإلهية لا تشبه الصفات. فإن قال: كيف أثبت صفة لا أعلم كيفيتها. قلنا: له كما تثبت ذاتًا لا تعلم كيفيتها.

القاعدة الثانية القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر

### القاعدة الثانية: القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

وشرحها: أن القول في بعض صفات الله من حيث الإثبات والنفي كالقول في البعض الآخر وهذه القاعدة يخاطب بها من يثبت بعض الصفات وينكر البعض الآخر. فإذا كان الرجل يثبت بعض الصفات كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينازع في صفة المحبة والرضا والغضب وغيرها، ويجعل ذلك مجازًا فيقال له: لا فرق بين ما أثبته وبين ما نفيته فالقول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن كنت تثبت له حياة وعلمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا لا تشبه ما يثبت للمخلوقين الذين

يتصفـــون بهذه الصفات فكذلك يلزمك أن تثبت له محبة ورضًا وغضبًا كـــما أخبر هـــو عن نفسه من غير مشابهة للمخلوقين وإلا وقعت في التناقض.

**القاعدة الثالثة: الأسماء والصفات توقيفية**

أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها وعلى هذا فيجـــب الوقـــوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص لأن العقـــل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجب الوقوف على النص. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [1] (الإسراء: 36). وقد كان أئمة الإسلام على هذا المنهج. قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يوصف الله إلا بما وصف بـــه نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث). وقرر بعـــض أهـــل العلم أن العلم بالشيء حتى يُمكن وصفه له ثلاثة طرق: إما رؤيتَه، أو رؤيـــة مثيله، أو وصفه ممن يعرفه. وعِلْمُنَا بِرَبِّنا وأسمائه وصفاته محصور في الطريـــق الثـــالث وهـــو وصفه ممن يعرفه وليس أحد أعلم بالله مـــن الله ثم رســـله الذين أوحى إليهم وعلمهم فوجب لزوم طريق الوحي في أسماء الله وصفاتـــه إذ لم نر ربنا في الدنيا فنصفه وليس له مثيل من خلقه فيوصف بوصفه، تعالى ربنا وتقدس.

**القاعدة الرابعة: أسماء الله كلها حسنى**

أســـماء الله كلهـــا حسنى أي بالغة في الحسن غايته. قـــال تعـــالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [2] (الأعراف: 180) وذلك لدلالتها على أحسن مســـمى وأشرف مدلول وهو الله ﷻ ولأنها متضمنة لصفات كـــاملة لا نقـــص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالا ولا تقديرًا.

---

(1) سورة الإسراء آية : 36 .

(2) سورة الأعراف آية : 180 .

مثال ذلك: (الحي) اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات مـــن العلـــم والقدرة والسمع والبصر وغيرها. ومثال آخر: (العليم) اسم من أسمـــاء الله تعالى متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نســـيان. قـــال تعالى ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝ ﴾ [1] (طه: 52) العلـــم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا سواء ما يتعلق بأفعالـــه أو أفعـــال خلقه. كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝ ﴾ [2] (غافر: 19).

والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراد، ويكـــون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى آخر كـــمال فوق كمال.

مثال ذلك: (العزيز الحكيم) فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثـــيرًا فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهـــو العـــزة في العزيز والحكـــم والحكـــمة في الحكيـــم. والجمـــع بينهما دال على كمال آخـــر وهو أن العزة لله تعالى مقرونة بالحكـــمة فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا كمـــا يكون من بعض أعزاء المخلوقين فإن بعضهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلـــم ويجور، وكذلك حكمه تعالى وحكـــمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكـــم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل. هذا والله أعلم.

وفي ختام هذا الباب نشير إلى جملة من الفوائد والثمرات الـــتي يجنيـــها المسلم بتحقيقه لهذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالله وحـــده لا شريك لـــه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فمن ذلك:

---

(1) سورة طه آية : 52 .

(2) سورة غافر آية : 19 .

1 - أن العبد ينال بذلك سعادة الدنيا والآخرة، بل إن السعادة في الدارين متوقف الحصول عليها على الإيمان بالله، فحظ العبد منها بحسب حظه من إيمانه بربه وأسمائه وصفاته وألوهيته.

2 - أن إيمان العبد بربه وأسمائه وصفاته هو أعظم أسباب خوفه سبحانه وخشيته وتحقيق طاعته، فكلما كان العبد بربه أعرف كان إليه أقرب، ومنه أخشى، ولعبادته أطلب، وعن معصته ومخالفته أبعد.

3 - أن العبد ينال بذلك طمأنينة قلبه، وراحة نفسه، وأنس خاطره، والأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة والله تعالى يقول ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[1] (الرعد: 28).

4 - أنَّ نيل ثواب الآخرة متوقف على الإيمان بالله وصحته، فبتحقيقه وتحقيق لوازمه ينال العبد ثواب الآخرة فيدخل جنة عرضها السماء والأرض فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وينجو من النار وعذابها الشديد، وأعظم من ذلك كله أن يفوز برضى الرب سبحانه فلا يسخط عليه أبدًا، ويتلذذ يوم القيامة بالنظر إلى وجهه الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

5 - أن الإيمان بالله هو الذي يصحح الأعمال ويجعلها مقبولة، فبفقده لا تقبل بل ترد على صاحبها وإن كثرت وتنوعت، قال تعالى ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥ ﴾[2] (المائدة: 5). وقال تعالى ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾[3] (الإسراء: 19).

(1) سورة الرعد آية : 28 .

(2) سورة المائدة آية : 5 .

(3) سورة الإسراء آية : 19 .

6 - أن الإيمان الصحيح بالله يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه علمًا وعملًا، ويكسب العبد الاستعداد التام لتلقي المواعظ النافعة والعبر المؤثرة، ويوجب سلامة الفطرة، وحسن القصد، والمبادرة إلى الخيرات، ومجانبة المحرمات والمنكرات، ولزوم الأخلاق الحميدة، والخصال الكريمة، والآداب النافعة.

7 - أنَّ الإيمان بالله ملجأ المؤمنين في كل ما يلم لهم من شرور وحزن وأمن وخوف وطاعة ومعصية وغير ذلك من الأمور التي لا بد لكل أحد منها، فعند المحاب والسرور يلجؤون إلى الإيمان بالله فيحمدون الله ويثنون عليه ويستعملون نعمته فيما يحب، وعند المكاره والأحزان يلجؤون إلى الإيمان بالله فيتسلون بإيمانهم وما يترتب عليه من الأجر والثواب، وعند المخاوف والأحزان يلجؤون إلى الإيمان بالله فتطمئن قلوبهم ويزداد إيمانهم وتعظم ثقتهم بربهم، وعند الطاعات والتوفيق للأعمال الصالحات يلجؤون إلى الإيمان بالله فيعترفون بنعمته عليهم، ويحرصون على تكميلها، ويسألونه الثبات عليها والتوفيق لقبولها، وعند الوقوع في شيء من المعاصي يلجؤون إلى الإيمان بالله فيبادرون إلى التوبة منها والتخلص من شرورها وأوضارها، فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم ملجؤهم إلى الإيمان بالله وحده.

8- أن معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته توجب محبة الله في القلوب إذ أن أسماء الله وصفاته كاملة من كل وجه والنفوس قد جبلت على حب الكمال والفضل فإذا تحققت محبة الله في القلوب انقادت الجوارح بالأعمال وتحققت الحكمة التي خلق العبد من أجلها وهي عبادة الله.

9- أن العلم بالأسماء والصفات يورث قوة اليقين بانفراد الله تعالى بتصريف شؤون الخلق وانفراده بذلك لا شريك له وهذا مما يحقق صدق التوكل على الله في جلب المصالح الدينية والدنيوية وفي ذلك فلاح العبد ونجاحه فمن توكل على الله فهو حسبه.

10- إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلــوم، فــإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقا له تعالى أو أمرا، وهي إمــا علــم بمــا كونه، وإما علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى وهمــا مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه. فمن أحصى أسماء الله كمــا ينبغــي للمخلوق أحصى جميع العلوم.

# الباب الثاني: بقية أركان الإيمان

## الفصل الأول: الإيمان بالملائكة

وفيه خمسة فصول:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقتهم وصفاتهم وبعض خصائصهم.

المبحث الثاني: منزلة الإيمان بهم وكيفيته وأدلة ذلك.

المبحث الثالث: وظائفهم.

## المبحث الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقتهم، وصفاهم، وخصائصهم

**تعريفهم:**

الملائكة: جمع مَلَك. أخذ من (الأَلُوكِ) وهي: الرسالة.

وهم: خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

**أصل خلقهم:**

والمادة التي خلق الله منها الملائكة هي " النور ". فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ ﴿ خلقت الملائكة من نور. وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم ﴾ [1] [2] والمارج هو: اللهب المختلط بسواد النار.

**صفاهم:**

قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفات الملائكة وحقائقها فمن ذلك:

أهم موصوفون بالقوة والشدة. كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ ﴾ [3] (التحريم: 6). وقال

---

(1) مسلم الزهد والرقائق (2996) ، أحمد (153/6) .

(2) صحيح مسلم برقم (2996) .

(3) سورة التحريم آية : 6 .

تعالى في وصف جـــبريل عليه السلام: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [1] (النجم: 5).

وقال في وصفه أيضا: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ ۝٢٠ ﴾ [2] (التكوير: 20).

وهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق. ففي صحيح مسلم من حديـــث عائشة رضي الله عنها وقد سألت النبي ﷺ عن معنى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣ ﴾ [3] (التكوير: 23) فقال: ﴿ إنما هو جبريل لم أره على صورتـــه الـــتي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ﴾ [4] [5] .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ﴿ رأى رســـول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يســـقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم ﴾ [6] [7] قال الحافـــظ ابـــن كـــثير: إسناده جيد.

وروى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رســـول الله ﷺ قال: ﴿ أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العـــرش إن ما بين شحمة

---

(1) سورة النجم آية : 5 .

(2) سورة التكوير آية : 20 .

(3) سورة التكوير آية : 23 .

(4) البخاري بدء الخلق (3062) ، مسلم الإيمان (177) ، الترمذي تفسير القرآن (3068) ، أحمد (50/6) .

(5) صحيح مسلم برقم (177) .

(6) البخاري بدء الخلق (3060) ، مسلم الإيمان (174) ، الترمذي تفسير القرآن (3283) ، أحمد (395/1) .

(7) مسند الإمام أحمد : (1/ 395) ، (6/ 294) .

أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام﴾ [1] [2] قال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح.

ومن صفاتهم أنهم يتفاوتون في الخلق والمقدار فهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح. قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ [3] (فاطر: 1).

ومن صفاتهم الحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك. قال تعالى في حق جبريل عليه السلام ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [4] (النجم: 5، 6) قال ابن عباس رضي الله عنهما ( ذو مرة: ذو منظر حسن) وقال قتادة: (ذو خلق طويل حسن).

وقال تعالى مخبرا عن النسوة عند رؤيتهن ليوسف عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾ [5] (يوسف: 31)

وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند الناس من وصف الملائكة بالجمال الباهر.

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها أنهم كرام أبرار. قال تعالى ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝ ﴾ [6] (عبس: 15، 16). وقال ﷻ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ ﴾ [1] (الانفطار: 10، 11).

(1) أبو داود السنة (4727) .
(2) سنن أبي داود : (5/ 96) ، برقم (4727) .
(3) سورة فاطر آية : 1 .
(4) سورة النجم آية : 5 ، 6 .
(5) سورة يوسف آية : 31 .
(6) سورة عبس آية : 15 ، 16 .

ومن صفاتهم الحياء لقول النبي ﷺ في حق عثمان رضي الله عنه ﴿ألا أستحي مـن رجل تستحي منه الملائكة﴾ [2] [3] .

ومن صفاتهم أيضا العلم. قال تعالى في خطابه للملائكـة: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [4] (البقرة: 30) فأثبت الله ﷻ للملائكة علمًا وأثبت لنفسـه علمًا لا يعلمونه. وقال تعالى في حق جبريل عليه السـلام ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [5] (النجم: 5) قال الطبري: (علم محمدًا ﷺ هذا القرآن جـبريل عليـه السلام) أ. هـ، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم.

إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة من صفاتهم العظيمة وأخلاقـهم الكريمة الدالة على علو شأنهم وسمو منازلهم عليهم السلام.

**خصائصهم:**

للملائكة عليهم السلام خصائص وصفات قد اختصهم الله تعـالى بهـا، وامتازوا بها عن الجن والإنس وسائر المخلوقات. فمنها:

أن مساكنهم في السماء وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شؤونهم. قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ ﴾ [6] (النحل: 2) وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ

---

(1) سورة الانفطار آية : 10 ، 11 .
(2) مسلم فضائل الصحابة (2401) ، أحمد (155/6) .
(3) صحيح مسلم برقم (2401) .
(4) سورة البقرة آية : 30 .
(5) سورة النجم آية : 5 .
(6) سورة النحل آية : 2 .

يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ ﴾ [1] (الزمر: 75). وعن أبي هريـــرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ يتعاقبون فيكم ملائكة بـــالليل، وملائكـــة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكـــم فيسألهم الله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون: تركناهم وهـــم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون ﴾ [2] [3] . والنصوص في هذا كثيرة جدًّا يصعـــب حصرها هنا.

ومن خصائصهم أنهم لا يوصفون بالأنوثة، قال تعالى منكرا على الكفـــار ذلك: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ۝١٩ ﴾ [4] (الزخرف: 19). وقال تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢٧ ﴾ [5] (النجم: 27).

ومن خصائصهم أنهم لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنـــوب، بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره: كما قال تعالى في وصفـــهم: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ [6] (التحريم: 6). وقـــال أيضـــا ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧ ﴾ [7] (الأنبياء: 27).

---

(1) سورة الزمر آية : 75 .

(2) البخاري مواقيت الصلاة (530) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (632) ، النسائي الصلاة (485) ، أحمد (486/2) ، مالك النداء للصلاة (413) .

(1) صحيح البخاري برقم (555) وصحيح مسلم برقم (632) .

(4) سورة الزخرف آية : 19 .

(5) سورة النجم آية : 27 .

(6) سورة التحريم آية : 6 .

(7) سورة الأنبياء آية : 27 .

ومن خصائصهم أيضا أنهم لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [1] (الأنبياء: 19، 20). وقال في آية أخـــرى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ [2] (فصلت: 38).

فهذه بعض خصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون الثقلين من الإنس والجن. وبالجملة فالملائكة جنس آخر، يتميزون في أصل خلقتهم وتكـــوينـــهم عن الإنس والجن. كـــما أن لكل من الإنس والجن خصائصهما التي يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر والله أعلم.

---

(1) سورة الأنبياء آية : 19 ، 20 .

(2) سورة فصلت آية : 38 .

## المبحث الثاني

## منزلة الإيمان بالملائكة وكيفيته وأدلة ذلك

**منـــزلة الإيمان بهم:**

الإيمان بالملائكة ركن من أركـــان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقـــق الإيمان إلا به. وقد نص الله على ذلك في كتابه. وأخبر عنـــه النبي ﷺ في سنته.

قال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [1] (البقرة: 285) فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقيـــة أركـــان الإيمان مما أنـــزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلـــوا ذلك.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [2] (البقرة: 177).

فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البرِّ- والبرُّ اســـم جامع للخير- وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هـــي أصـــول الأعمـــال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه.

كـــما أخبر الله ﷻ في مقابل هذا أن من كفر بهذه الأركان فقد كفـــر بالله: فقال: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ۝١٣٦ ﴾ [3] (النســـاء: 136) فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركـــان، ووصفه بالبعد في الضلال. فدل ذلك أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم مـــن أركان الإيمان وأن تركه مخرج من الملة.

---

(1) سورة البقرة آية : 285 .

(2) سورة البقرة آية : 177 .

(3) سورة النساء آية : 136 .

وقد دلت السنة كذلك على هذا. وهو ما جاء موضحًا في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: ﴿ بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد ! أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان ؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة ؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها ؟ قال: أن تلد الأمة ربّتها. وأن ترى الْحُفاة العُراة، العَالة، رِعاءَ الشاء، يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق فلبثت مليًّا ثم قال لي: يا عمر ! أتدري من السائل ؟ قلتَ: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم ﴾ [(1)] [(2)].

فهذا حديث عظيم اشتمل على أصول الدين ومراتبه كلها وهو منهج فريد في تعليم هذا الدين جاء على طريقة الحوار بين الرسول الملكي، أفضل الملائكة وهو جبريل عليه السلام وبين الرسول الإنسي أفضل البشر، وهو محمد ﷺ فينبغي للمسلمين أن يعنوا بهذا الحديث العظيم وأن يستمدوا منهجهم في التعلم والتعليم منه كما كان على ذلك

---

(1) مسلم الإيمان (8) ، الترمذي الإيمان (2610) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4990) ، أبو داود السنة (4695) ، ابن ماجه المقدمة (63) ، أحمد (27/1) .

(2) صحيح مسلم برقم (8) .

السـلف رضـوان الله عليهم. وقد تضمن الحديث ذكر الملائكة وأن الإيمان بهم ركن من أركـان الإيمان وهو المقصود هنا.. والله أعلم.

**كيفية الإيمان بالملائكة:**

الإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور لا بد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق لـــه الإيمان بالملائكة وهي:

1 - الإقرار بوجودهم والتصديق بهم كما دلت على ذلـــك النصـــوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقـــق الإيمـــان إلا بذلك.

2 - الإيمان بأنهم خلق كثير جدًّا لا يعلم عددهم إلا الله تعالى كـــما دلـــت على ذلك النصوص. قال تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [1] (المدثر: 31).

أي لا يعلم جنود ربك وهم الملائكة إلا هو وذلك لكثرتهم. قـــال بذلـــك بعض السلف.

وجاء في حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (... ﴿ ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ! ما هذا ؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم ســـبعون ألـــف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم ﴾ [2] [3] .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رســـول الله ﷺ ﴿ يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألـــف ملـــك يجرونها ﴾ [4] [5] . فدل الحديثان على كثرة الملائكة، فإذا كـــان البيت المعمور يدخلـــه كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه وإنما يأتي غيرهم، وجهنم يأتي بها يوم القيامة

(1) سورة المدثر آية : 31 .

(2) البخاري المناقب (3674) ، مسلم الإيمان (164) ، النسائي الصلاة (448) ، أحمد (208/4) .

(3) صحيح البخاري برقم (3207) ، ومسلم برقم (164) ، واللفظ لمسلم .

(4) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2842) ، الترمذي صفة جهنم (2573) .

(5) صحيح مسلم برقم (2842) .

هذا العدد من الملائكة، فكيف بغيرهم من الملائكة الموكلين بأعمال أخرى ممن لا يعلم عددهم إلا خالقهم تبارك وتعالى.

3 - الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وشرفهم عنده كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1] (الأنبياء: 26، 27). وقال جل وعلا: ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [2] (عبس: 15، 16). فوصفهم بأنهم مكرمون منه سبحانه. وقال تعالى في حقهم: ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] (فصلت: 38). فوصفهم بأنهم عنده وهذا تشريف لهم، مع مقام التعبد له بلا سآمة. كما أنه تعالى أقسم بهم في غير موطن من كتابه وهذا لشرفهم عنده. فقال: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [4] (الصافات: 1-3). وقال عز وجل: ﴿ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [5] (المرسلات: 4، 5). وشواهد صور إكرام الملائكة وتنوع أساليبها وتعدد سياقاتها من كتاب الله كثيرة لا تخفى على متدبر مما يحتم تقرير هذا في الشرع والله أعلم.

4 - اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله على ما دلت على ذلك النصوص: قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ

(1) سورة الأنبياء آية : 26 ، 27 .
(2) سورة عبس آية : 15 ، 16 .
(3) سورة فصلت آية : 38 .
(4) سورة الصافات آية : 1 - 3 .
(5) سورة المرسلات آية : 4 ، 5 .

﴿ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [1] (الحج: 75). وقال ﷻ ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [2] (النساء: 172) فأخبر أن منهم مصطفين بالرسالة ومقربين، فدل على فضلهم على غيرهم. وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش. وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتتح به صلاة الليل فيقول: « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة » [3] .. ) [4] .

وأفضل الثلاثة جبريل عليه السلام وهو الموكل بالوحي، فشرفه بشرف وظيفته. وقد ذكره الله في كتابه بما لم يذكر غيره من الملائكة، وسماه بأشرف الأسماء، ووصفه بأحسن الصفات. فمن أسمائه الروح: قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [5] (الشعراء: 193). وقال عز وجل: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [6] (القدر: 4). وقد ورد هذا الاسم مضافًا إلى الله تعالى إضافة تشريف. قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [7] (مريم: 17). وورد مضافًا إلى القدس، قال تعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [8] (النحل: 102) والقدس

---

(1) سورة الحج آية : 75 .

(2) سورة النساء آية : 172 .

(3) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (770) ، الترمذي الدعوات (3420) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (1625) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1357) ، أحمد (156/6) .

(4) رواه الإمام أحمد في المسند : 6 / 156 ، والنسائي في السنن : 3 / 173 ، برقم (1625) ، ونحوهما مسلم في الصحيح ، برقم (770) ، وابن ماجه ، برقم (1357) .

(5) سورة الشعراء آية : 193 .

(6) سورة القدر آية : 4 .

(7) سورة مريم آية : 17 .

(8) سورة النحل آية : 102 .

هو الله على الصحيح من أقوال المفسرين. ومما جاء في وصفه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ ﴾ [1] (التكوير: 19-21). وقال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ ﴾ [2] (النجم: 5، 6) فوصفه الله تعالى بأنه رسول وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع في السماوات، وأنه أمين على الوحي وأنه ذو مرة (أي مظهر حسن).

5 - موالاتهم والحذر من عداوتهم لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [3] (التوبة: 71) فدخل الملائكة في هذه الآية؛ لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم كما أخبر الله عنهم ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ [4] (التحريم: 6). وأخبر جل وعلا عن موالاة الملائكة لرسوله وللمؤمنين فقال ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ [5] (التحريم: 4) وقال ﷻ ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ ﴾ [6] (الأحزاب: 43). وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ ﴾ [7] (فصلت: 30). فوجبت موالاة الملائكة على المؤمنين لموالاتهم لهم ونصرهم وتأييدهم واستغفارهم لهم. وقد حذر الله تعالى من عداوة

---

(1) سورة التكوير آية: 19 - 21 .

(2) سورة النجم آية: 5 ، 6 .

(3) سورة التوبة آية: 71 .

(4) سورة التحريم آية: 6 .

(5) سورة التحريم آية: 4 .

(6) سورة الأحزاب آية: 43 .

(7) سورة فصلت آية: 30 .

الملائكة فقال: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [1] (البقرة: 98). فأخبر أن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه، وذلك لأنهم إنما يصدرون عن أمره وحكمه، فمن عاداهم فقد عادى ربه.

6 - الاعتقاد بأن الملائكة خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. كما أنه لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم، بل يجب إخلاص العبادة لخالقهم وخالق الخلق أجمعين، الذي لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيل له في أسمائه وصفاته. وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز من قائل: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [2] (آل عمران: 80). وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [3] (الأنبياء: 26-29).

فأخبر سبحانه أنه لم يأمر بعبادتهم وكيف يأمر بعبادتهم وهي كفر بالله العظيم ثم أبطل تعالى دعوى من زعم أن الملائكة بنات الله ونزه نفسه عن ذلك، وبين أنهم عباد مكرمون بكرامته لهم عاملون بأمره مشفقون من خشيته وأنهم لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من رضي الله عنه من أهل التوحيد. ثم ختم السياق ببيان جزاء من ادعى الألوهية منهم وأن جزاءه جهنم، فظهر من ذلك أنهم عباد مربوبون لا حول لهم ولا قوة إلا بربهم وخالقهم.

---

(1) سورة البقرة آية : 98 .

(2) سورة آل عمران آية : 80 .

(3) سورة الأنبياء آية : 26 - 29 .

7 - الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة علـــى وجـــه الخصوص في الكتاب والسنة: كجبريل، وميكائيل، وإســـرافيل، ومـــالك، وهاروت وماروت، ورضوان، ومنكر ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصـــوص بتسميتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيـــب وعتيد، أو بذكر وظيفته: كملك الموت وملك الجبـــال، أو مـــن جـــاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة: كحملة العرش، والكـــرام الكـــاتبين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيـــت المعمور، والملائكة السياحين، إلى آخر من أخبر الله ورســـوله ﷺ عنـــهم.

فيجب الإيمان بذلك إيمانا مفصلا على نحو ما جاء في النصوص من أسمائهم وصفاتهم، ووظائفهم، وأخبارهم، والتصديق بكل ذلك مما سيأتي بيانه في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

فهذه جملة ما يجب اعتقاده في حق الملائكة الكرام مما دلت عليه النصوص الشرعية والله تعالى أعلم.

## المبحث الثالث: وظائف الملائكة

الملائكــة جند من جنود الله تعالى، أسند الله إليهم كثيرًا مــن الأعمــال الجليلة، والوظائف الكبيرة، وأعطاهم القدرة على تأديتها على أكمل وجــه. وهم بحسب ما هيأهــم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام:

**فمنهم الموكل بالوحي** من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والســلام وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [1] (الشعراء: 193- 195) وقد تقدم أنــه أفضل الملائكة وأكرمهم على الله، وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأديــة مهمته.

ولم يره النبي ﷺ في صورته التي خُلق عليها إلا مرتين، وبقية الأوقــات يأتيه في صورة رجل. رآه مرة بالأفق من ناحية المشرق وفي ذلك يقــول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] (التكوير: 23). ورآه مرة ثانية ليلة الإسراء في السماء وهذا ما أخبر الله عنه بقولــه: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [3] (النجم: 13- 15).

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ عن تفسير الآيتين المتقدمتين فقال: « إنما هو جبريل لم أره على صورته الــتي خُلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مــا بين السماء إلى الأرض » [4] [5] .

---

(1) سورة الشعراء آية : 193 - 195 .

(2) سورة التكوير آية : 23 .

(3) سورة النجم آية : 13 - 15 .

(4) البخاري بدء الخلق (3062) ، مسلم الإيمان (177) ، الترمذي تفسير القرآن (3068) ، أحمد (50/6) .

(5) صحيح مسلم برقم (177) .

**ومنهم الموكل بالقطر والنبات** وهو ميكائيل عليه السلام وقد ورد ذكره في القرآن. قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨ ﴾ [1] (البقرة: 98) وهو ذو مكانه عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه، ولذا خصه الله هنا بالذكر مع جبريل، وعطفهما على الملائكة، مع أنهما من جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف الخاص على العام. وكذا ورد ذكره في السنة على ما تقدم في دعاء النبي ﷺ في صلاة الليل أنه يقول: ﴿اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل﴾ [2] .. ) [3] . ولذا قال العلماء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة.

**ومنهم الموكل بالصُّور** وهو إسرافيل عليه السلام وهو ثالث الملائكة المفضلين المتقدم ذكرهم. وهو أحد حملة العرش. والصور: قرن عظيم ينفخ فيه. روى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ﴿جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور ؟ فقال: قرن ينفخ فيه﴾ [4] [5] ورواه أيضا الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. [6] .

---

(1) سورة البقرة آية : 98 .

(2) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (770) ، الترمذي الدعوات (3420) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (1625) ، أبو داود الصلاة (767) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1357) ، أحمد (156/6) .

(3) رواه الإمام أحمد في المسند : 6 / 156 ، والنسائي في السنن : 3 / 213 ، برقم (1625) ، ونحوهما مسلم في الصحيح برقم (770) ، وابن ماجه برقم (1357) .

(4) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2430) ، أبو داود السنة (4742) ، أحمد (192/2) ، الدارمي الرقاق (2798) .

(5) المسند : 2/ 162 ، 192 .

(6) المستدرك : 2/ 506 ، 4/ 589 ، واللفظ للحاكم .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ أن النبي ﷺ قال: ﴿كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول ؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا﴾ (1) (2) قال الترمذي حديث حسن. وصححه غيره من أهل العلم.

وينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ (3) (النمل: 87). وهذه هي نفخة الفزع وقد دل على النفختين الأخريين قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (4) (الزمر: 68).

**ومنهم الموكل بقبض الأرواح** وهو ملك الموت قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ (5) (السجدة: 11).

ولملك الموت أعوان من الملائكة، يأتون العبد بحسب عمله، وإن كان محسنًا ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ (6) (الأنعام: 61).

---

(1) الترمذي تفسير القرآن (3243) ، أحمد (7/3) .

(2) المسند : 3 / 7 ، وسنن الترمذي 4 / 620 ، برقم (2431) ، 5 / 372- 373 ، برقم (3243) .

(3) سورة النمل آية : 87 .

(4) سورة الزمر آية : 68 .

(5) سورة السجدة آية : 11 .

(6) سورة الأنعام آية : 61 .

**ومنهم الموكل بالجبال** وهو ملك الجبال، وقد ورد ذكـــره في حديـــث خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوتـــه إيـــاهم وعـــدم استجابتهم له وفيه يقول النبي ﷺ ﴿ فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظـــرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ومـــا ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملـــك الجبال. فسلم عليّ ثم قال: يا محمد. فـــقال: ذلك فيما شئت، إن شـــئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهـــم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا ﴾ [1] [2] . والأخشبان: هما جبلا مكةَ: أبـــو قبيس والذي يقابله.

**ومنهم الملك الموكل بالرحم** على ما دل عليه حديث أنس بن مـــالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ إن الله ﷻ وكَّل ملكًا يقول: يا ربِّ! نطفـــة. يا ربِّ! علقة. يا ربِّ مضغة. فإذا أراد أن يقضي خلقه، قـــال: أذكـــر أم أنثى ؟ شقي أم سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ فيكتب في بطن أمه ﴾ [3] [4] .

**ومنهم حملة العرش** قال تعـــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [5] (غـــافر: 7).

وقال تعالى: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ ﴾ [1] (الحاقة: 17). قـــال بعض العلماء: الذين حول العرش هم الملائكة (الكروبيون) وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة [2] .

---

(1) البخاري بدء الخلق (3059) ، مسلم الجهاد والسير (1795) .
(2) صحيح البخاري ، برقم (3231) ، ومسلم برقم (1795) .
(3) البخاري الحيض (312) ، مسلم القدر (2646) ، أحمد (117/3) .
(4) صحيح البخاري برقم (318) ، ومسلم برقم (2646) .
(5) سورة غافر آية : 7 .

**ومنهم خزنة الجنة** . قال تعالى ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [3] (الزمر: 73). وقال تعالى ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4] (الرعد: 23).

**ومنهم خزنة النار عياذاً بالله منها** وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر. قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [5] (غافر: 49) وقال تعالى ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ [6] (العلق: 17، 18). وقال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [7] (المدثر: 30، 31).

وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [8] (الزخرف: 77). وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار ورؤية النبي ﷺ له، ففي صحيح البخاري من حديث سَمُرَة بن جُنْدُب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(1) سورة الحاقة آية : 17 .
(2) تفسير ابن كثير (7/ 120) .
(3) سورة الزمر آية : 73 .
(4) سورة الرعد آية : 23 .
(5) سورة غافر آية : 49 .
(6) سورة العلق آية : 17 ، 18 .
(7) سورة المدثر آية : 30 ، 31 .
(8) سورة الزخرف آية : 77 .

﴿رأيت الليلة رجلين أتياني فقالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل﴾ [1] [2] .

**ومنهم زوار البيت المعمور** : يدخل في كل يوم منهم البيت المعمور سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه على ما ثبت من حديث مالك بن صعصعة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (... ﴿ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل! ما هذا ؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم﴾ [3] [4] .

**ومنهم ملائكة سياحون** يتبعون مجالس الذكر فقد روىَ الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال فيحفوهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا﴾ [5] ... ) [6] قال العلماء: وهؤلاء الملائكة زائدون عن الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق.

وقد ثبت أيضًا أنهم يبلغون النبي ﷺ من أمته السلام لما روى أحمد والنسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ ﴿إن لله ﷻ ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام﴾ [7] [1] .

---

(1) البخاري بدء الخلق (3064) .

(2) صحيح البخاري برقم (3236) .

(3) البخاري المناقب (3674) ، مسلم الإيمان (164) ، النسائي الصلاة (448) ، أحمد (208/4) .

(4) صحيح البخاري برقم (3207) ، ومسلم برقم (164) واللفظ لمسلم .

(5) البخاري الدعوات (6045) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2689) ، الترمذي الدعوات (3600) ، أحمد (252/2) .

(6) صحيح البخاري برقم (6408) ، ومسلم برقم (2689) واللفظ للبخاري .

(7) النسائي السهو (1282) ، أحمد (452/1) ، الدارمي الرقاق (2774) .

**ومنهم الكرام الكاتبون** وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم. قال تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [2] (الانفطار: 10 - 12) وقال تعالى ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾ [3] (ق: 17،18) قال مجاهد في تفسير الآية: ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر.

**ومنهم الموكلون بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم** وهما مُنْكَر ونَكِير. وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة. أخرج الشيخان من حديث أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال: « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا » [4] [5] .

وأخرج الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ « إذا قبر الميت أو قال أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل » [6] ... ) [1] الحديث. قال الترمذي حديث حسن.

---

(1) المسند : 1/ 452 ، وسنن الترمذي : 3/ 43 ، برقم (1282) ، واللفظ لأحمد .
(2) سورة الانفطار آية : 10 - 12 .
(3) سورة ق آية : 17 ، 18 .
(4) البخاري الجنائز (1308) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2870) ، النسائي الجنائز (2051) ، أبو داود السنة (4751) ، أحمد (3/126) .
(5) صحيح البخاري برقم (1374) ، ومسلم برقم (2870) ، واللفظ للبخاري .
(6) الترمذي الجنائز (1071) .

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم مـــن الملائكة ممن يتعين على العبد الإيمان بهم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم والله تعالى أعلم.

**ثمرات الإيمان بالملائكة:**

وللإيمان بالملائكة ثمراته العظيمة على المؤمن فمن ذلك:

1- العلم بعظمة خالقهم ﷻ وكمال قدرته وسلطانه.

2- شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من هـــؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة.

3- محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجـــه الأكـــمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم.

---

(1) سنن الترمذي : 3/ 385 ، برقم (1073) ، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : 7/ 386 ، برقم (3117) ، واللفظ للترمذي .

## الفصل الثاني

## الإيمان بالكتب المنزلة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد في تعريف الوحي لغة وشرعا وبيان أنواعه.

المبحث الأول: حكم الإيمان بالكتب وأدلته.

المبحث الثاني: كيفية الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث: بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى دخلها التحريف وسلامة القرآن من ذلك.

المبحث الرابع: الإيمان بالقرآن وخصائصه.

## تمهيد في تعريف الوحي لغة وشرعا وبيان أنواعه

**التعريف اللغوي:**

الوحي في اللغة: هو الإعلام السريع الخفي.

ويطلق الوحي على: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام. وكل ما ألقيته على غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان وهو لا يختص بالأنبياء ولا بكونه من عند الله تعالى.

والوحي بمعناه اللغوي يتناول:

1 - الإلهام الفطري للإنسان كالوحي لأم موسى. قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [1] (القصص: 7).

2 - الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل. قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ [2] (النحل: 68).

3 - الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا لقومه. قال تعالى ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١ ﴾ [3] (مريم: 11).

4 - وسوسة الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ﴾ [4] (الأنعام: 121).

---

(1) سورة القصص آية : 7 .
(2) سورة النحل آية : 68 .
(3) سورة مريم آية : 11 .
(4) سورة الأنعام آية : 121 .

5 - ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه. قال تعـــالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ ﴾ [1] (الأنفال: 12).

**التعريف الشرعي:**

هو " إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة ".

**أنواع الوحـــي:**

لتلقي الوحـــي من الله تعالى طرق بينها الله تعالى بقوله في ســـورة الشورى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [2] (الشـــورى: 51). فأخـــبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب:

**المرتبة الأولى:** الوحـــي المجرد وهو ما يقذفه الله في قلب الموحى إليه ممـــا أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله. ودليلـــه قولـــه تعـــالى: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [3] (الشورى: 51).

ومثال ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ﴾ [4] أخرجه ابن حبان في صحيحه والحـــاكـــم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه في سننه وغيرهم [5] . وألحق بعض أهل العلم بهذا القسم رؤى الأنبياء

(1) سورة الأنفال آية : 12 .

(2) سورة الشورى آية : 51 .

(3) سورة الشورى آية : 51 .

(4) ابن ماجه التجارات (2144) .

(5) موارد الظمآن (1084 ، 1085) ، والمستدرك (2 / 4) ، وسنن ابن ماجـــه (2144) ، وابن أبي الدنيا في القناعة ، والبيهقي في شعب الإيمان (المغني عن حمل الأسفار : 419 ، 895) والبغوي ج14 / 304 برقم (4112) .

في المنام كرؤيا إبراهيم عليه السلام على ما أخبر الله عنه في قوله: ﴿ قَالَ يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [1] (الصافات: 102). وكرؤى النبي ﷺ في بداية البعثة على ما روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح﴾ [2] [3].

**المرتبة الثانية:** التكليم من وراء حجاب بلا واسطة كما ثبت ذلك لبعض الرسل والأنبياء كتكليم الله تعالى لموسى على ما أخبر الله به في أكثر من موضع من كتابه. قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [4] (النساء: 164). وقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [5] (الأعراف: 143). وكتكليم الله لآدم. قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ [6] ( البقرة: 37). وكتكليم الله تعالى لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة. ودليل هذه المرتبة من الآية قوله تعالى: ﴿ أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [7] ( الشورى: 51).

---

(1) سورة الصافات آية : 102 .

(2) البخاري بدء الوحي (4) ، مسلم الإيمان (160) ، الترمذي المناقب (3632) ، أحمد (233/6) .

(3) صحيح البخاري برقم (3) ، وبنحوه في صحيح مسلم برقم (160) .

(4) سورة النساء آية : 164 .

(5) سورة الأعراف آية : 143 .

(6) سورة البقرة آية : 37 .

(7) سورة الشورى آية : 51 .

**المرتبة الثالثة:** الوحي بواسطة الملك. ودليله قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ﴾ [1] (الشورى: 51). وهذا كنزول جبريل عليه السلام بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله ﷻ وبلغه جبريل لمحمد ﷺ . قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ ﴾ [2] (الشعراء: 192- 194). وقال تعالى: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [3] (النحل: 102).

ولجبريل عليه السلام في تبليغه الوحي لنبينا ﷺ ثلاثة أحوال:

1 - أن يراه الرسول ﷺ على صورته التي خلق عليها ولم يحصل هذا إلا مرتين كما تقدم تقريره في الفصل السابق. [4] .

2 - أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس فيذهب عنه وقد وعى الرسول ﷺ ما قال.

3 - أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي كما مر في حديث جبريل السابق في سؤاله النبي ﷺ عن مراتب الدين. [5] .

وقد أخبر النبي ﷺ عن الحالتين الأخيرتين في إجابته للحارث بن هشام لما سأل رسول الله ﷺ فقال: ﴿يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما

---

(1) سورة الشورى آية : 51 .
(2) سورة الشعراء آية : 192 - 194 .
(3) سورة النحل آية : 102 .
(4) انظر ص113 .
(5) انظر ص106 .

قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي مـــا يقول ﴾ [1] [2] متفق عليه. ومعنى فصم: أي أقلع وانكشف.

## المبحث الأول حكم الإيمان بالكتب وأدلته

### تعريف الكتب:

الكتب جمع كتاب. والكتاب مصدر كتب يكتب كتابا، ثم سمـــي بـــه المكتوب والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها كـــما في قولـــه تعـــالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ [3] (النســـاء: 153) يعني صحيفة مكتوباَ فيها.

والمراد بالكتب هنا: الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الـــذيَ أوحاه إلى رسله عليهم السلام. سواء ما ألقاه مكتوبا كالتوراة، أو أنـــزله عن طريق الملك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب.

### حكم الإيمان بالكتب:

الإيمان بكتب الله التي أنـــزل على رسله كلها ركن عظيـــم من أركـــان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد دل علـــى ذلك الكتاب والسنة.

**فمن الكتاب** قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ

---

(1) البخاري بدء الوحي (2) ، مسلم الفضائل (2333) ، الترمذي المناقب (3634) ، النسائي الافتتاح (934) ، أحمد (257/6) ، مالك النداء للصلاة (474) .

(2) صحيح البخاري برقم (2) ، ومسلم برقم (2333) .

(3) سورة النساء آية : 153 .

ﭐلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [1] (النساء: 136). فأمر الله عباده المؤمنين في الآية بالدخول في جميــع شــرائع الإيمان وشعبه وأركانه. فأمرهم بالإيمان بالله ورســوله وهــو محمــد ﷺ والكتاب الذي أنــزل على رسوله وهو القرآن، والكتاب الذي أنــزل من قبل وهو جميع الكتب المتقدمة: كالتوراة، والإنجيل، والزبــور، ثم بــين في ختام الآية أن من كفر بشيء من أركان الإيمان فقد ضل ضــلالا بعيــدا وخرج عن قصد السبيل ومن أركان الإيمان المذكورة الإيمان بكــتب الله.

وقال تعــالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [2] (البقرة: 177). فأخبر ﷻ أن حقيقة البر: هو الإيمان بما ذكر من أركــان الإيمان، والعمل بخصال البر الواردة في الآية بعد هذا. وذكر مــن أركــان الإيمان: " الإيمان بالكتاب " قال ابن كثير: هو اسم جنس يشمل الكتــب المنــزلة من السماء على الأنبياء. حتى ختمت بأشرفها، وهــو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب [3] .

ولتقرير الإيمان بالكتب كلها أمر الله عباده المؤمنين أن يخــاطبوا أهــل الكتاب بقوله تعــالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [4] (البقرة: 136). فتضمنت الآية إيمان المؤمنين بما أنــزل الله عليهم بواســطة رسوله ﷺ وما أنــزل على أعيان الرسل المذكورين في الآية، وما أنزل على

---

(1) سورة النساء آية : 136 .

(2) سورة البقرة آية : 177 .

(3) تفسير ابن كثير 1/ 297 .

(4) سورة البقرة آية : 136 .

بقية الأنبياء في الجملة وأنهم لا يفرقون بين الرسل في الإيمان ببعضـــهم دون بعض فانتظم ذلك الإيمان بجميع الرسل وكل ما أنـــزل الله عليهم مـــن الكتب.

والآيات في تقرير هذا من كتاب الله كثيرة.

**وأما السنة** فقد دلت كذلك على وجوب الإيمان بالكتب. وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، دل على ذلك حديث جبريل، وسؤاله النبي ﷺ أركان الإيمان، فذكر النبي ﷺ في إجابته: الإيمان بالكتب مع بقية أركان الإيمان. وقد تقدم الحديث بنصه في الفصل السابق فأغنى عن إعادته هنا [1] .

فتقرر بهذا وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالى أنـــزلها على رسله بالحق والهدى والنور والضيـــاء، وأن من كذب بها أو جحد شيئا منها فهو كافر بالله خارج من الدين.

**ثمرات الإيمان بالكتب:**

وللإيمان بالكتب آثاره العظيمة على المؤمن فمن ذلك:

1- شكر الله تعالى على لطفه بخلقه وعنايته بهم حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

2- ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمـــة مـــا يناسبها، وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسبا لجميع الخلق في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة.

3- إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقـــين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه.

---

(1) انظر ص106 .

## المبحث الثاني كيفية الإيمان بالكتب

الإيمان بكتب الله يشتمل على عدة جوانب دلت النصوص على وجـــوب اعتقادها وتقريرها لتحقيق هذا الركن العظيم من أركان الإيمان. وهي:

1 - التصديق الجازم بأنها كلها منـــزلة من الله ﷻ وأنها كـــلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الـــذي أراد سبحانه. قال تعـــالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ [1] (آل عمران: 2- 4).

فأخبر الله ﷻ أنه أنـــزل هـــذه الكتب المذكورة وهي: التوراة، والإنجيل، والقرآن من عنده وهذا يدل علـــى أنه هو المتكلم بها وأنها منه بدأت لا من غيره، ولذا توعد في نهاية السياق من كفر بآيات الله بالعذاب الشديد.

وقال مخبرًا عن التوراة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ ﴾ [2] (المـــائدة: 44) فبين أنه تعالى هو الذي أنـــزل التوراة وأن ما فيها من الهدى والنـــور منـــه سبحانه. وقال تعالى في سياق آخر مبينًا أن التوراة من كلامه وذلك في معرض إخباره عن اليهود ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ [3] (البقرة: 75) فكـــلام الله الذي سمعوه ثم حرفوه هو التوراة. قاله السُّدِّي وابن زيد وجمع من المفسرين.

---

(1) سورة آل عمران آية : 2 - 4 .

(2) سورة المائدة آية : 44 .

(3) سورة البقرة آية : 75 .

وقال تعالى في الإنجيـــل ﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ ﴾ [1] (المائدة: 47) أي من الأوامر والنواهي التي هي من كلام الله.

وقال في القرآن الكريم: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ [2] ( هود: 1). وقال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾ [3] (النمل: 6). وقال تعالى: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [4] (النحل: 102). وقال تعالى ﴿ وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [5] (التوبة: 6). وإنما أمروا أن يسمعوا القرآن الذي أنـــزله على رسوله ﷺ فهو كلام الله على الحقيقة.

2 - الإيمان بأنها دعت كلها إلى عبادة الله وحده وقد جـــاءت بالخـــير والهدى والنور والضياء. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [6] (آل عمران: 79). فبين الله أنه ما ينبغي لأحد من البشر، آتاه الله الكتاب والحكـــم والنبوة، أن يأمر الناس أن يتخذوه إلها من دون الله. وذلك أن كتب الله إنمـــا جاءت بإخلاص العبادة لله وحده.

وقال تعالى مبينًا أن كتبه جاءت بالحق والهـــدى ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [7] (آل عمران:

---

(1) سورة المائدة آية : 47 .

(2) سورة هود آية : 1 .

(3) سورة النمل آية : 6 .

(4) سورة النحل آية : 102 .

(5) سورة التوبة آية : 6 .

(6) سورة آل عمران آية : 79 .

(7) سورة آل عمران آية : 3 ، 4 .

3، 4). وقال تعـــالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [1] (البقرة: 213). وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ ﴾ [2] (المائدة: 44). وقال تعـــالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [3] (المائدة: 46). وقال تعـــالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [4] (البقرة: 185). إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة أن كتب الله تعالى قد جـــاءت بـــالهدى والنور من الله تعالى.

3 - الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضًا فلا تنـــاقض بينـــها ولا تعارض كما قال تعالى في القرآن ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ [5] (المائدة: 48). وقال في الإنجيل: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [6] (المـــائدة: 46). فيجب الإيمان بهذا واعتقاد سلامة كتب الله من كل تنـــاقض أو تعـــارض، وهذا من أعظم خصائص كتب الله عن كتب الخلق وكلام الله عن كـــلام الخلق فإن كتب المخلوقين عرضة للنقص والخلل والتعارض كما قال تعـــالى في وصف القرآن ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [7] (النساء: 82).

---

(1) سورة البقرة آية : 213 .

(2) سورة المائدة آية : 44 .

(3) سورة المائدة آية : 46 .

(4) سورة البقرة آية : 185 .

(5) سورة المائدة آية : 48 .

(6) سورة المائدة آية : 46 .

(7) سورة النساء آية : 82 .

4 - الإيمان بما سمى الله ﷻ من كتبه على وجه الخصوص، والتصديق بها، وبإخبار الله ورسوله عنها. وهذه الكتب هي:

أ) **التوراة:** وهي كتاب الله الذي آتاه موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾[1] (القصص: 43). وفي حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا: (... ﴿ فيأتون إبراهيم فيقول: لست هُنَاكم ويذكر خطيئته التي أصابها ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة وكلمه تكليما ﴾ [2] [3] وقد ألقى الله التوراة على موسى مكتوبة في الألواح وفي ذلك يقول سبحانه ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [4] (الأعراف: 145). قال ابن عباس (يريد ألواح التوراة). وفي حديث احتجاج آدم وموسى من رواية أبي هريرة ﷺ عن النبي: (... ﴿ قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده ﴾ [5] أخرجاه في الصحيحين من طرق كثيرة [6] . والتوراة هي أعظم كتب بني إسرائيل وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنزلها الله على موسى وقد كان على العمل بها أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا من بعد موسى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا

---

(1) سورة القصص آية : 43 .

(2) البخاري التوحيد (6975) ، مسلم الإيمان (193) ، ابن ماجه الزهد (4312) ، أحمد (116/3) ، الدارمي المقدمة (52) .

(3) صحيح البخاري برقم (7410) ، ومسلم برقم (193) .

(4) سورة الأعراف آية : 145 .

(5) البخاري القدر (6240) ، مسلم القدر (2652) ، الترمذي القدر (2134) ، أبو داود السنة (4701) ، ابن ماجه المقدمة (80) ، أحمد (248/2) ، مالك الجامع (1660) .

(6) صحيح البخاري برقم (6614) ، ومسلم برقم (2652) ، وفي إحداها : " وكتب لك التوراة بيده " .

ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ [1] (المائدة: 44). وقد أخبر الله في كتابه عن تحريف اليــهود للتــوراة وتبديلها على ما سيأتي بسط هذا في المبحث القادم إن شاء الله.

**ب) الإنجيل:** وهو كتاب الله الذي أنــزله على عيسى ابن مريم عليهما السلام. قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦ ﴾ [2] (المائدة: 46).

وقد أنــزل الله الإنجيل مصدقا للتوراة وموافقا لها كما تقــدم في الآيــة السابقة.

قال بعض العلماء[3] لم يخالف الإنجيل التوراة إلا في قليل من الأحكام مما كانوا يختلفون فيه كما أخبر الله عن المسيح أنه قال لبني إســرائيل: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾[4] (آل عمران: 50).

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن التوراة والإنجيل نصا على البشــارة بنبينا محمد ﷺ . قال تعــالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾ [5] (الأعراف: 157).

وقد لحق الإنجيل من التحريف ما لحق التوراة، كمــا ســيأتي بيانــه في المبحث القادم بحول الله.

---

(1) سورة المائدة آية : 44 .

(2) سورة المائدة آية : 46 .

(3) تفسير ابن كثير (2/ 36) .

(4) سورة آل عمران آية : 50 .

(5) سورة الأعراف آية : 157 .

ج) **الزبور:** وهو كتاب الله الذي أنـــزله على داود عليه السلام. قـــال تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [1] (النساء: 163). قال قتادة في تفسير الآية: " كنـــا نحدث أنه دعاء علمه الله داود وتحميد وتمجيد لله ﷻ ليس فيه حـــلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ".

د) **صحف إبراهيم وموسى:** وقد جاء ذكرها في موضعين من كتـــاب الله، الأول في سورة النجم في قول الله تعـــالى: ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۝ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ ﴾ [2] (النجم: 36- 39). والثاني في سورة الأعلى، قال تعـــالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝ ﴾ [3] (الأعلى: 14- 19). فأخبر الله ﷻ عن بعض ما جاء في هـــذه الصحـــف من وحيه الذي أنـــزله على رسوليه إبراهيم وموســـى عليـــهما السلام. والعلم عند الله.

هـــ) **القرآن العظيم:** وهو كتاب الله الذي أنـــزله على نبينا محمـــد ﷺ مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وهو آخر كتب الله نـــزولا وأشرفها وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب وقد كانـــت دعوتـــه لعامـــة الثقلين من الإنس والجن. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ [4] (المائدة: 48) ومهيمنًا: أي شهيدًا علـــى ما قبله من الكتب وحاكما عليها.

---

(1) سورة النساء آية : 163 .

(2) سورة النجم آية : 36 - 39 .

(3) سورة الأعلى آية : 14 - 19 .

(4) سورة المائدة آية : 48 .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [1] (الأنعام: 19). وقال ﷻ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [2] (الفرقان: 1). وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، والفرقـان، والكتاب، والتنـزيل، والذكر.

فيجب الإيمان بهذه الكتب على ما جاءت به النصوص، من ذكر أسمائها، ومن أنـزلت فيهم، وكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ عنها، وما قُصَّ علينا من أخبار أهلها.

5 - الاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنـزلها الله علـى رسله، بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحدًا من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم، أن يعبدوا الله بعد نـزول القرآن بغير ما جاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره. والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [3] (الفرقان: 1). وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾ [4] (المائدة: 15، 16).

وقال تعالى آمرا نبيه ﷺ أن يحكم بين أهل الكتاب بالقرآن ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [5] (المائدة: 48). وقال أيضا ﴿

(1) سورة الأنعام آية : 19 .
(2) سورة الفرقان آية : 1 .
(3) سورة الفرقان آية : 1 .
(4) سورة المائدة آية : 15 ، 16 .
(5) سورة المائدة آية : 48 .

وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [1] (المائدة: 49).

ومن السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: ﴿أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني﴾ [2] رواه أحمد والبزار والبيهقي [3] وغيرهم وهو حديث حسن بمجموع طرقه. ومعنى متهوكون: متحيرون.

فهذا ما يجب اعتقاده في كتب الله على سبيل الإجمال وسيأتي تفصيل ما يجب اعتقاده في القرآن على وجه الخصوص في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

(1) سورة المائدة آية : 49 .

(2) أحمد (387/3) ، الدارمي المقدمة (435) .

(3) مسند الإمام أحمد : 3 / 387 ، وكشف الأستار : 134 ، وشعب الإيمان للبيهقي : (177) .

## المبحث الثالث

## بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى

## المنزلة دخلها التحريف وسلامة القرآن من ذلك

### تحريف أهل الكتاب لكـــلام الله:

أخبر الله ﷻ في القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب لكتـــب الله المنـــزلة عليهم وتغييرها وتبديلها.

قال تعالى في حق اليهود: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [1] (البقرة: 75). وقال عـــز وجـــل: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [2] (النساء: 46).

وقال تعالى مخبرا عن النصـــارى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ ﴾ [3] ( المائدة: 14، 15).

فدلت الآيات على تحريف اليهود والنصارى كتب الله المنـــزلة عليهم.

وقد كـــان هذا التحريف بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرى.

فدليل الزيادة قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [4] (البقرة: 79).

---

(1) سورة البقرة آية : 75 .

(2) سورة النساء آية : 46 .

(3) سورة المائدة آية : 14 ، 15 .

(4) سورة البقرة آية : 79 .

ودليل النقص قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [1] (المائدة: 15). وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ ﴾ [2] (الأنعام: 91).

**تحريف التوراة والإنجيل وأدلة ذلك:**

هذا ما جاء في تحريف أهل الكتاب لكلام الله وكتبه في الجملة. وأما التوراة والإنجيل خاصة فقد دلت الأدلة مما تقدم وغيرها على وقوع التحريف فيهما.

**فمن أدلة تحريف التوراة** قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [3] (الأنعام: 91). وجاء في تفسير الآية: (أي تجعلون الكتاب الذي جاء به موسى في قراطيس تضعونه فيها ليتم لكم ما تريدونه من التحريف والتبديل وكتم صفة النبي ﷺ المذكورة فيه).

وقال تعالى: ﴿ ۞أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [4] (البقرة: 75) قال السدي في تفسير الآية: (هي التوراة حرفوها). وقال ابن زيد: (التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا).

(1) سورة المائدة آية : 15 .

(2) سورة الأنعام آية : 91 .

(3) سورة الأنعام آية : 91 .

(4) سورة البقرة آية : 75 .

**ودليل تحريف الإنجيل** قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾ [1] (المائدة: 14-15). قال بعض أئمة التفسير في تفسير الآية الأخيرة: (أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غـــيروه ولا فائدة في بيانه [2] .

فدلت هذه الآيات على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيـــل. ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن التوراة والإنجيل قد دخلهما التحريـــف والتغيير.

**سلامة القرآن من التحريف وحفظ الله له وأدلة ذلك:**

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحريـــف والتبديل وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله له وصيانته إياه كما أخـــبر الله عن ذلك بقوله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [3] (الحجر: 9). قـــال الطبري في تفسير الآية: " قال وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مـــا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه [4] ". كمـــا أخبر الله في آيات أخرى عن تمام إحكامه للقرآن وتفصيله وتنـــزيهه مـــن كل باطل فقال عز من قائل: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ [5] ( فصلت: 42). وقال تعالى: ﴿ الٓرۚ

(1) سورة المائدة آية : 14 - 15 .
(2) تفسير ابن كثير 3 / 63 .
(3) سورة الحجر آية : 9 .
(4) تفسير ابن جرير 14 / 7 .
(5) سورة فصلت آية : 42 .

﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ [1] ( هود: 1). وقال عز وجـــل: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ ﴾ [2] (القيامة: 16، 17).

فدلت هذه الآيات على كمال حفظ الله للقرآن لفظـــا ومعنى بـــدءا بنـــزوله إلى أن يأذن الله برفعه إليه سليما من كل تغيير أو تبديل. إذ تكفـــل بتعليمه لنبيه ﷺ ثم جمعه في صدره وبيانه له وتفسيره في سنته المطـــهرة، ثم ما هيأ الله له بعد ذلك من عدول الرجال الذيـــن حفظـــوه في الصـــدور والسطور، عبر الأجيال والقرون، فبقي سليما منـــزها من كل باطل، يقرؤه الصغار والكبار، على مختلف الأعصار والأمصار، غضا طريا كما أنـــزل من الله على رسوله ﷺ .

وقد نبه العلماء في هذا المقام إلى سر لطيف ونكتة بديعة تتعلـــق بجـــواز التحريف على التوراة وعدم جوازه على القرآن على ما روى أبو عمـــرو الداني عن أبي الحسن المنتاب قال: (كنت يوما عند القاضي أبي إســـحاق إسماعيل بن إسحاق فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز علـــى أهل القرآن ؟ فقال القاضي: قال الله عـــز وجـــل في أهـــل التـــوراة ﴿ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [3] (المائدة: 44) فوكل الحفظ إليهم فجاز التبديـــل عليهم. وقال في القرآن ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [4] (الحجر: 9) فلم يجز التبديل عليهم. قال: فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت لـــه الحـــكـــاية فقال: " ما سمعت كلاما أحسن من هذا ".

---

(1) سورة هود آية : 1 .

(2) سورة القيامة آية : 16 ، 17 .

(3) سورة المائدة آية : 44 .

(4) سورة الحجر آية : 9 .

## المبحث الرابع الإيمان بالقرآن وخصائصه

تعريف القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي والفــــرق بينهما:

**القرآن الكريم:** هو كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله ﷻ ونزل به على خاتم رسله محمد ﷺ بلفظــــه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف المحفـــوظ من التغيير والتبديل. [1] .

**والحديث القدسي:** هو ما رواه النبي ﷺ عن ربه باللفظ والمعنى ونقـــل إلينا آحادا أو متواترا و لم يبلغ تواتر القرآن [2] .

ومثاله حديث أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجـــل أنه قال: ﴿ يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فـــلا تظالموا ﴾ [3] [4] .

**والحديث النبوي:** ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقريـــر أو وصف. [5] .

**والفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبوي:** أن القرآن متعبد بتلاوته معجز في نظمه متحدى به، يحرم مسه لمحدث، وتلاوته لنحو جنب، وروايته بالمعنى، وتتعين قراءته في الصلاة، ويؤجر قارئه بكل حـــرف منـــه حسنة والحسنة بعشر حسنات. بخلاف الحديث القدسي والحديث النبـــوي فإنما ليسا كذلك.

---

(1) الطحاوية 1 / 172 . مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، ص21 ، وقواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص65 .

(2) انظر قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص65 .

(3) مسلم البر والصلة والآداب (2577) .

(4) رواه مسلم برقم (2577) .

(5) مصطلح الحديث لابن عثيمين ص7 ، وقواعد التحديث للقاسمي ص61-62 .

**والفرق بين الحديث القدس والنبوي:** أن الحديث القدسي من كـــلام الله بلفظه ومعناه بخلاف الحديث النبوي فهو من كلام النبي ﷺ لفظًـــا ومعنى، وأن الحديث القدسي أفضل من الحديث النبوي وذلك لفضل كـــلام الله على كلام المخلوقين. [1] .

**خصائص الإيمان بالقرآن:**

الإيمان بكتب الله ركن عظيم من أركان الإيمان على ما تقدم تقريـــره، ولما كان القرآن العظيم هو الكتاب الناسخ للكتب السابقة والمهيمن عليـــها والمتعبد به لعامة الثقلين بعد بعثة نبينا محمد ﷺ ونـــزول هـــذا الكتـــاب عليه، اختص الإيمان به بخصائص ومميزات لا بد من تحقيقـــها للإيمـــان بـــه بالإضافة إلى ما تم تقريره من مسائل في تحقيق الإيمان بالكتب إجمالا. وهذه الخصائص هي:

١- اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين مـــن الجن والإنس لا يسع أحدًا منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شـــرع فيه. قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝ ﴾ [2] (الفرقان: 1). وقال تعالى مخبرًا على لسان نبيه ﷺ ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [3] (الأنعام: 19). وقال تعالى إخبارًا عن الجـــن: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ ﴾ [4] (الجن: 1، 2).

2 - اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهـــل الكتـــاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نـــزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء بـــه، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حـــرم فيه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ

---

(1) انظر قواعد التحديث للقاسمي ص65- 66 .

(2) سورة الفرقان آية : 1 .

(3) سورة الأنعام آية : 19 .

(4) سورة الجن آية : 1 ، 2 .

ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾[1] (آل عمران: 85). وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [2] (النساء: 105). وقد تقدم في حديث جابر بن عبد الله نهـــي النبي ﷺ أصحابه عن قراءة كتب أهل الكتاب وقوله: (... ﴿والذي نفسي بيده لـــو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني﴾ [3] [4] .

3 - سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويسرها، بخـــلاف الشـــرائع في الكتب السابقة. فقد كانت مشتملة على كثير من الآصار، والأغلال الـــتي فرضت على أصحابها. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [5] (الأعراف: 157).

4 - أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنـــوي. قـــال تعالى ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [6] (الحجر: 9). وقال تعالى: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [7] (فصلت: 42). وقال ﷻ مبينًا تكفله بتفسيره وتوضيحه علـــى مـــا أراد وشرع: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ

---

(1) سورة آل عمران آية : 85 .
(2) سورة النساء آية : 105 .
(3) أحمد (387/3) ، الدارمي المقدمة (435) .
(4) رواه الإمام أحمد في المسند : 3 / 387 ، وغيره .
(5) سورة الأعراف آية : 157 .
(6) سورة الحجر آية : 9 .
(7) سورة فصلت آية : 42 .

فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ ﴾ [1] (القيامة: 17-19). قال ابن كثير في تفسير الآية الأخـــيرة: " أي بعـــد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشـــرعنا ". وقد هيأ الله تعالى لحفظ كتابه من العلماء الجهابذة من قاموا بذلك خير قيـــام، من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا، فحفظوا لفظه وفهموا معناه، واستقاموا على العمل به، ولم يَدَعوا مجالا من مجالات خدمة القرآن وحفظه إلا وألفوا فيـــه المؤلفات المطولة، فمنهم من ألف في تفسيره، ومنهم مـــن ألـــف في رسمـــه وقراءاته، ومنهم من ألف في محكمه ومتشابهه، ومنهم من ألـــف في مكيـــه ومدنيه، ومنهم من ألف في استنباط الأحكام منه، ومنهم من ألف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من ألف في أسباب نـــزوله، ومنهم من ألف في أمثالـــه، ومنهم من ألف في إعجازه، ومنهم من ألف في غريبه، ومنهم من ألـــف في إعرابه، إلى غير ذلك من المجالات التي تجسد من خلالها حفظ الله لكتابه بما هيأ له هؤلاء العلماء من خدمة كتابه وعلومه حتى بقي محفوظًا يقرأ ويفســـر غضًّا طريًّا كما أنـــزل.

5 - أن القرآن الكريم مشتمل على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غـــيره من الكتب المنـــزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه ﷺ وأتباعه إلى قيام الساعة، على ما روى الشـــيخان مـــن حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿ما من الأنبياء نبي إلا أعطـــى مـــن الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحـــاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة﴾ [2] [3] . ومن صور إعجـــاز القرآن حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته وقد وقع التحدي للإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو ببعضه على مراتب ثلاث: فقد تحداهم الله

(1) سورة القيامة آية : 17 - 19 .
(2) البخاري فضائل القرآن (4696) ، مسلم الإيمان (152) ، أحمد (451/2) .
(3) صحيح البخاري برقم (4981) ، ومسلم برقم (152) .

على أن يأتوا بمثله فعجزوا وما استطاعوا. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] (الطور: 33، 34). وقال ﷻ مقررًا عجزهم عــن ذلك ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [2] (الإسراء: 88). ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فما قدروا. قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [3] (هود: 13). ثم تحداهم مرة ثالثة بأن يأتوا بسورة منه فما اســتطاعوا. قــال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [4] (يونس: 38). فثبت بهذا إعجاز القرآن على أبلــغ وآكده، لما عجز الخلق عن معارضته بأدنى مراتب التحـــدي، وهـــو الإتيان بسورة من مثله، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات.

6 - أن الله تعالى بين في القرآن كل شيء مما يحتاج له النـــاس في أمـــر دينهم، ودنياهم، ومعاشهم، ومعادهم. قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [5] (النحـــل: 89). وقـــال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى

(1) سورة الطور آية : 33 ، 34 .
(2) سورة الإسراء آية : 88 .
(3) سورة هود آية : 13 .
(4) سورة يونس آية : 38 .
(5) سورة النحل آية : 89 .

ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [1] (الأنعام: 38). قال ابن مسعود ﷺ " أنزل في هذا القرآن كل علم، وكل شيء قد بين لنا في القرآن ".

7 - أن الله تعالى يسر القرآن للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] (القمر: 17). وقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [3] (ص: 29). قال مجاهد في تفسير الآية الأولى: " يعني هونَّا قراءته ". وقال السدي: " يسرنا تلاوته على الألسن ". وقال ابن عباس: " لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله " [4] . وقد ذكر الطبري وغيره من أئمة التفسير أن تيسير القرآن يشمل تيسير اللفظ للتلاوة وتيسير المعاني للتفكر والتدبر والاتعاظ [5] وهو كذلك كما هو ملاحظ ومشاهد.

8 - أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [6] (المائدة: 48). وقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [7] (الشورى: 13).

(1) سورة الأنعام آية : 38 .
(2) سورة القمر آية : 17 .
(3) سورة ص آية : 29 .
(4) تفسير ابن كثير 8 / 453 .
(5) تفسير ابن جرير 27 / 96 .
(6) سورة المائدة آية : 48 .
(7) سورة الشورى آية : 13 .

9 - أن القرآن مشتمل على أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلــك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله. قال تعالى: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴾ [1] (هود: 120). وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [2] (هود: 100). وقال تعــالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [3] (طه: 99).

10 - أن القرآن هو آخر كتب الله نــزولا وخاتمها والشاهد عليها. قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ ﴾ [4] (آل عمــران: 3، 4). وقــال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ [5] (المائدة: 48).

فهذه بعض خصائص القرآن الكريم على سائر الكتب الأخرى ممــا لا يتحقق الإيمان به إلا باعتقادها وتحقيقها علمًا وعملًا. والله تعالى أعلم.

---

(1) سورة هود آية : 120 .

(2) سورة هود آية : 100 .

(3) سورة طه آية : 99 .

(4) سورة آل عمران آية : 3 ، 4 .

(5) سورة المائدة آية : 48 .

## الفصل الثالث

## الإيمان بالرسل

ويحتوي على أحد عشر مبحثًا:

المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسل وأدلته.

المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

المبحث الثالث: كيفية الإيمان بالرسل.

المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل.

المبحث الخامس: أولو العزم من الرسل.

المبحث السادس: خصائص نبينا محمد ﷺ وحقوقه على أمته مع بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق.

المبحث السابع: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده.

المبحث الثامن: الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدلته.

المبحث التاسع: القول الحق في حياة الأنبياء عليهم السلام.

المبحث العاشر: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء.

المبحث الحادي عشر: الولي والولاية في الإسلام.

## المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسل وأدلته

الإيمان برسل الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم من أركان الإيمان. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ ﴾ [1] (البقرة: 285).

فذكر الله تعالى الإيمان بالرسل في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، من أركان الإيمان. وبين أنهم في إيمانهم بالرسل لا يفرقون بينهم فيؤمنوا ببعضهم دون بعض، بل يصدقون بهم جميعًا.

وقد بين الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسل. فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾ [2] (النساء: 150، 151). فأطلق الكفر على من كذب بالرسل أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم. ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقًّا أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة.

كما بين الله في مقابل ذلك في السياق نفسه ما عليه أهل الإيمان من ذلك فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ ﴾ [3] (النساء: 152). فوصفهم بالإيمان بالله ورسله كلهم من غير تفريق بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى.

---

(1) سورة البقرة آية : 285 .

(2) سورة النساء آية : 150 ، 151 .

(3) سورة النساء آية : 152 .

وأما السنة فدلت كذلك على ما دل عليه الكتاب من أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان وقد دَلّ على ذلك حديث جبريل المتقدم بنصـــه في مبحـــث " الإيمان بالملائكة " وفيه أن النبي ﷺ أجاب لما سأله جبريل علـــيه السلام عن الإيمان فقال: ﴿ أن تؤمن بالله وملائكـــته وكتبه ورســـله واليـــوم الآخر ﴾ [1] ... ) [2] الحديث. فذكر الإيمان بالرسل مع بقية أركان الإيمان الأخرى الواجـــب على المسلم تحقيقها واعتقادها.

وفي دعاء النبي ﷺ في التهجد عند قيام الليل أنه كان يقول: ﴿ اللهم لـــك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنـــت قيـــم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحـــق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حـــق، والنـــار حـــق، والنبيون حق، والساعة حق ﴾ [3] ... ) [4] .

فشهادة النبي ﷺ أن النبيين حق ضمن ما ذكر من أصول الإيمان العظيمة كالإيمان بالله وبوجود الجنة والنار وقيام الساعة وتقديمه ذلك بـــين يـــدي دعائه وقيامه دليل على أهمية الإيمان بالرسل والأنبياء ومكانته في الدين.

فتقرر وجوب الإيمان بالرسل وأنه من أعظم دعائم هذا الدين ومن أكـــبر خصال الإيمان وأن من كذب بالرسل أو بأحد منهم فإنه كافر بالله العظيـــم كفرًا صريحًا بجحده هذا الركن العظيم من أركان الإيمان.

---

(1) مسلم الإيمان (8) ، الترمذي الإيمان (2610) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4990) ، أبو داود السنة (4695) ، ابن ماجه المقدمة (63) ، أحمد (52/1) .

(2) تقدم ص113 .

(3) البخاري التوحيد (7060) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (769) ، الترمذي الدعوات (3418) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (1619) ، أبو داود الصلاة (771) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1355) ، أحمد (358/1) ، مالك النداء للصلاة (500) ، الدارمي الصلاة (1486) .

(4) صحيح البخاري برقم (7499) .

**ثمرات الإيمان بالرسل:**

إذا تحقق الإيمان بالرسل ترك آثاره الطيبة وثماره اليانعة على المؤمن فمـــن ذلك:

1 - العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

2 - شكر الله على هذه النعمة الكبرى.

3 - محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، ولما قاموا به من تبليغ رسالة الله لخلقه وكمال نصحـــهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم.

## المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

**النبي في اللغة:** مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة. قال تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ﴾ [1] (النبأ: 1، 2). وسمي النبي نبيًّا لأنه مُخبرٌ من الله، ويُخْبِرُ عن الله فهو مُخبَر ومُخبِر.

وقيل النبي مشتق من النباوة: وهي الشيء المرتفع.

وسمي النبي نبيًّا على هذا المعنى: لرفعة محله على سائر الناس. قال تعالى ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ ﴾ [2] (مريم: 57).

**والرسول في اللغة:** مشتق من الإرسال وهو التوجيه. قال تعالى مخبرًا عن ملكة سبأ: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣٥ ﴾ [3] (النمل: 35).

وقد اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول في الشرع على أقوال أرجحها:

**أن النبي:** هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين.

**والرسول:** هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله.

**والفرق بينهما:**

أن النبي هو من نبأه الله بأمره ونهيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم.

وأما الرسول فهو من أرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبلغهم رسالة الله ويدعوهم إلى عبادته.

---

(1) سورة النبأ آية : 1 ، 2 .

(2) سورة مريم آية : 57 .

(3) سورة النمل آية : 35 .

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فقد كان يوسف على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا على شريعة التوراة وكلهم رسل. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ ﴾ [1] (غافر: 34). وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [2] (النساء: 163، 164).

وقد يطلق على النبي أنه رسول كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [3] (الحج: 52) فذكر الله ﷻ أنه يرسل النبي والرسول. وبيان ذلك أن الله تعالى إذا أمر النبي بدعوة المؤمنين إلى أمر فهو مرسل من الله إليهم لكن هذا الإرسال مقيد. وأما الإرسال المطلق فهو بإرسال الرسل إلى عامة الخلق من الكفار والمؤمنين.

---

(1) سورة غافر آية : 34 .

(2) سورة النساء آية : 163 ، 164 .

(3) سورة الحج آية : 52 .

## المبحث الثالث: كيفية الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي ﷺ في سنته إجمالا وتفصيلا.

**فالإيمان المجمل:**

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [1] (النحل: 36). وبأنهم جميعهم صادقون، بارون، راشدون، كرام بررة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون. قال تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [2] (يس: 52). وقال تعالى بعد أن ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والرسل: ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [3] (الأنعام: 87، 88).

وبأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين جاءوا بالبينات من ربهم إلى أقوامهم. قال تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [4] (الأعراف: 43). وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [5] (الحديد: 25).

---

(1) سورة النحل آية : 36 .
(2) سورة يس آية : 52 .
(3) سورة الأنعام آية : 87 ، 88 .
(4) سورة الأعراف آية : 43 .
(5) سورة الحديد آية : 25 .

وبأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله وأما شرائعهم فمختلفة. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [1] (الأنبياء: 25). وقال ﷻ ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ [2] (المائدة: 48).

وبأنهم قد بلغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجة على الخلق. قال تعالى: ﴿ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴾ [3] (الجن: 28). وقال تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [4] (النساء: 165).

ويجب الإيمان بأن الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء. وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة. قال تعالى: ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ﴾ [5] (إبراهيم: 11). وقال تعالى عن نوح: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ ﴾ [6] (هود: 31). وقال ﷻ آمرًا نبينا محمدًا ﷺ أن يقول لقومه: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ ﴾ [7] (الأنعام: 50).

(1) سورة الأنبياء آية : 25 .
(2) سورة المائدة آية : 48 .
(3) سورة الجن آية : 28 .
(4) سورة النساء آية : 165 .
(5) سورة إبراهيم آية : 11 .
(6) سورة هود آية : 31 .
(7) سورة الأنعام آية : 50 .

ومما يجب اعتقاده أيضًا في حق الرسل أنهم منصورون مؤيدون من الله، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم. قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝ ﴾ [1] (غافر: 51). كما يجب اعتقاد تفاضل الرسل على ما أخبر ﷻ في قوله تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [2] (البقرة: 253).

فيجب الإيمان بكل هذا وبكل ما جاء في الكتاب والسنة عن الرسل على وجه العموم إيمانًا مجملًا.

**وأما الإيمان المفصل:**

فيكون بالإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه والنبي ﷺ في سنته منهم، إيمانًا مفصلًا على نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم.

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون. ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [3] (الأنعام: 83-86). وورد ذكر الباقين في مواضع أخرى من القرآن. قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ ﴾ [4] (الأعراف: 65).

---

(1) سورة غافر آية : 51 .

(2) سورة البقرة آية : 253 .

(3) سورة الأنعام آية : 83 - 86 .

(4) سورة الأعراف آية : 65 .

وقال: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ ﴾ [1] (الأعراف: 73). وقال ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ ﴾ [2] (الأعراف: 85). وقال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴾ [3] (آل عمران: 33). وقال: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [4] (الأنبياء: 85). وقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [5] (الفتح: 29). فيجب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرسلين إيمانًا مفصلًا، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على ما أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص من ذكر فضائلهم وخصائصهم وأخبارهم، كاتخاذ الله إبراهيمَ ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم خليلين لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [6] (النساء: 125). ولقول النبي ﷺ ﴿ إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ﴾ [7] أخرجه مسلم [8] . وكتكليم الله تعالى لموسى لقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [9] (النساء: 164). وكذلك تسخير الجبال والطير لداود يسبحن بتسبيحه، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ

---

(1) سورة الأعراف آية : 73 .
(2) سورة الأعراف آية : 85 .
(3) سورة آل عمران آية : 33 .
(4) سورة الأنبياء آية : 85 .
(5) سورة الفتح آية : 29 .
(6) سورة النساء آية : 125 .
(7) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (532) .
(8) صحيح مسلم برقم (532) .
(9) سورة النساء آية : 164 .

يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [1] (الأنبياء: 79). وإلانة الحديد لداود كما قال تعــالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ [2] (سبأ: 10). وتســخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشـــاء، قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ ﴾ [3] (سبأ: 12). وتعليم ســـليمان منطق الطير، قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ ﴾ [4] (النمل: 16).

كـــما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قص الله ﷻ في كتابه مـــن أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لرســـله وأتباعهم. كقصة موسى مع فرعون، وإبراهيم مع قومه، وقصـــص نـــوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم. وما قـــص الله علينـــا في شـــأن يوسف مع إخوته وأهل مصر، وقصة يونس مع قومه، إلى آخر ما جـــاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل، وكذلك ما جاء في الســـنة فيجـــب الإيمان به إيمانًا مفصلًا بحسب ما جاءت به النصوص.

وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل بقسميه المجمل والمفصل. والله تعالى أعلم.

---

(1) سورة الأنبياء آية : 79 .
(2) سورة سبأ آية : 10 .
(3) سورة سبأ آية : 12 .
(4) سورة النمل آية : 16 .

## المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل

يجب على الأمة تجاه الرسل حقوق عظيمة بحسب ما أنـــزلهم الله مـــن المنازل الرفيعة في الدين، وما رفعهم الله إليه من الدرجات السامية الجليلـــة عنده، وما شرفهم به من المهمات النبيلة وما اصطفاهم به من تبليغ وحيـــه وشرعه لعامة خلقه. ومن هذه الحقوق:

1 - تصديقهم جميعًا فيما جاءوا به، وأنهم مرسلون من ربهم، مبلغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينـــهم في ذلـــك. قـــال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [1] (النســـاء: 64). وقـــال تعـــالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ [2] (المائدة: 92). وقال عز وجـــل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ ﴾ [3] (النساء: 150، 151).

فيجب تصديق الرسل فيما جاءوا بـــه من الرسالات وهذا مقتضى الإيمان بهم.

ومما يجب معرفته أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحدٍ من الرســـل السابقين بعد مبعث محمد ﷺ المبعوث للناس كافة، إذْ أن شريعته جـــاءت ناسخة لجميع شرائع الأنبياء قبله فلا دين إلا ما بعثه الله به ولا متابعـــة إلا لهذا النبي الكريم. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [4] (آل عمران: 85).

وقال تعـــالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(1) سورة النساء آية : 64 .
(2) سورة المائدة آية : 92 .
(3) سورة النساء آية : 150 ، 151 .
(4) سورة آل عمران آية : 85 .

يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] (سبأ: 28). وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [2] ... (الأعراف: 158).

2 - موالاتهم جميعًا ومحبتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [3] (المائدة: 56). وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾ [4] (التوبة: 71). فتضمنت الآية وصف المؤمنين بموالاة بعضهم لبعض فدخل في ذلك رسل الله الذين هم أكمل المؤمنين إيمانًا وعليه فإن موالاتهم ومحبتهم في قلوب المؤمنين هي أعظم من موالاة غيرهم من الخلق لعلو مكانتهم في الدين ورفعة درجاتهم في الإيمان. ولذا حذر الله من معاداة رسله وعطفها في الذكر على معاداة الله وملائكته وقرن بينهما في العقوبة والجزاء. فقال عز من قائل: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [5] (البقرة: 98).

3 - اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى إذ الرسالة اصطفاء من الله يختص الله بها من يشاء من خلقه ولا تنال بالاجتهاد والعمل. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ [6] (الحج: 75). وقال تعالى ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ

(1) سورة سبأ آية : 28 .
(2) سورة الأعراف آية : 158 .
(3) سورة المائدة آية : 56 .
(4) سورة التوبة آية : 71 .
(5) سورة البقرة آية : 98 .
(6) سورة الحج آية : 75 .

ءَاتَيۡنَـٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَـٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾[1] (الأنعام: 83). إلى أن قال بعد ذكر طائفة كبيرة من الأنبيـــاء والمرسلين: ﴿ وَكُلاّٗ فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾[2] (الأنعام: 86). وقد تقدم نقل هـــذا الســـياق في المبحث الأول من هذا الفصل.

كما دلت السنة أيضًا على أن منـــزلة الرسل لا يبلغها أحد من الخلق لما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى ﴾[3] [4] وفي رواية للبخاري: ﴿ من قال أنا خـــير من يونس بن متى فقد كذب ﴾[5] [6] . قال بعض شراح الحديث: " إنه ﷺ قـــال هذا زجرًا أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس ﷺ مـــن أجل ما في القرآن العزيز من قصته ". وبيّن العلماء: " أن ما جرى ليونس ﷺ لم يحطه من النبوة مثقال ذرة وخص يونس بالذكر لما ذكر الله من قصتـــه في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

---

(1) سورة الأنعام آية : 83 .

(2) سورة الأنعام آية : 86 .

(3) البخاري أحاديث الأنبياء (3215) ، مسلم الفضائل (2377) ، أبو داود السنة (4669) ، أحمد (342/1) .

(4) صحيح البخاري برقم (3416) ، ومسلم برقم (2376) ، واللفظ للبخاري .

(5) البخاري تفسير القرآن (4328) ، مسلم الفضائل (2373) ، أحمد (468/2) .

(6) صحيح البخاري برقم (4604) .

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1] (الأنبيـــاء: 87، 88). وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2] ... الآيات (الصافات: 139-148).

4 - اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم وأنهم ليسوا في درجة واحدة بل فضل الله بعضهم على بعض. قال تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾[3] (البقَرة: 253). قال الطبري في تفسير الآية: " يقول تعالى ذكره: هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعـــض، فكلمت بعضهم كموسى ﷺ ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامـــة ورفعة المنـــزلة ". فإنـــزال كل واحد منهم منـــزلته في الفضــــل والرفعـــة بحسب دلالات النصوص من جملة حقوقهم على الأمة.

5 - الصلاة والسلام عليهم فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقائـــه الثناء الحسن على رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم. قال تعـــالى عـــن نـــوح: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾[4] (الصافات: 78، 79). وقال عن إبراهيـــم: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ ﴾[5] (الصافات: 108، 109). وقال عن موسى وهـــارون: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝ ﴾[6] (الصافـــات: 119، 120).

---

(1) سورة الأنبياء آية : 87 ، 88 .
(2) سورة الصافات آية : 139 .
(3) سورة البقرة آية : 253 .
(4) سورة الصافات آية : 78 ، 79 .
(5) سورة الصافات آية : 108 ، 109 .
(6) سورة الصافات آية : 119 ، 120 .

وقال تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1] (الصافات: 181). قال ابن كثير: " قولــه تعالى ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] (الصافات: 79) مفسرًا لما أبقى عليه مـــن الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه جميع الطوائف ". وقد نقل الإمـــام النووي إجماع العلماء على جواز الصلاة على سائر الأنبياء واستحبابها. قال: " أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ﷺ . وكذلك أجمع من يعتد به علـــى جوازها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالا وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداء ".

فهذه طائفة مما يجب للرسل من حقوق على هذه الأمة مما دلـــت عليـــه النصوص وقرره أهل العلم. والله تعالى أعلم.

---

(1) سورة الصافات آية : 181 .

(2) سورة الصافات آية : 79 .

## المبحث الخامس: أولو العزم من الرسل

أولو العزم من الرسل هم: ذوو الحزم والصبر. قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [1] (الأحقاف: 35).

وقد اختلف العلماء فيهم. فقيل المراد بأولي العزم هم جميـــع الرســـل. و" من " في قوله ﴿ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [2] لبيان الجنس لا للتبعيض. قال ابن زيـــد: " كل الرسل. كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيًّا إلا كـــان ذا عزم وحزم ورأي وكـــمال عقل ".

وقيل هم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليـــهم وسلم. قال ابن عباس: " أولو العزم من الرسل النبي صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ". وبهذا القول قال مجاهد وعطـــاء الخراساني، وعليه كثير من متأخري أهل العلم.

وقد ذكر الله هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطنين من كتابه وبه اســـتدل لهذا القول. الأول في سورة الأحزاب. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧ ﴾ [3] (الأحزاب: 7).

والثاني في سورة الشورى.

قال تعـــالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [4] (الشورى: 13). قال بعض المفسرين: " ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بـــأن لهم مزيد شرف وفضل لكونهم من أصحاب الشرائع المشهورة ومـــن أولي العزم من الرسل ".

---

(1) سورة الأحقاف آية : 35 .

(2) سورة الأحقاف آية : 35 .

(3) سورة الأحزاب آية : 7 .

(4) سورة الشورى آية : 13 .

وهؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل وخيار بني آدم. فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: (خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد ﷺ وخيرهم محمد ﷺ وصلى الله وسلم عليهم أجمعين) [1] .

وأفضلهم محمد ﷺ على ما أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع﴾ [2] [3] .

---

(1) أخرجه البزار انظر كشف الأستار (3 / 114) ، والهيثمي في المجمع (8 / 255) وقال : " رجاله رجال الصحيح " ، والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، المستدرك للحاكم : 2 / 546 .

(2) مسلم الفضائل (2278) ، أحمد (540/2) .

(3) أخرجه مسلم برقم (2278) ، وأبو داود : 5 / 38 ، برقم (4673) .

## المبحث السادس

## خصائص نبينا محمد ﷺ وحقوقه على أمته

## مع بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق

### أولا: خصائصه ﷺ

لقد خص الله تبارك وتعالى نبينا محمدًا ﷺ بكثير من الخصائص والمناقب التي فضله بها على غيره من المرسلين وميزه عن سائر العالمين. ومن هذه الخصائص:

1 - عموم رسالته لكافة الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحدًا منهم إلا اتباعه والإيمان برسالته. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [1] (سبأ: 28). وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝ ﴾ [2] (الفرقان: 1). قال ابن عباس رضي الله عنهما: " العالمين: الجن والإنس ". وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون﴾ [3] [4] . وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار﴾ [5] [6] .

---

(1) سورة سبأ آية : 28 .

(2) سورة الفرقان آية : 1 .

(3) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (523) ، أحمد (412/2) .

(4) أخرجه مسلم برقم (523) .

(5) مسلم الإيمان (153) ، أحمد (350/2) .

(6) أخرجه مسلم برقم (153) .

2 - أنه خاتم الأنبياء والمرسلين كما دلت على ذلك النصوص. قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ ﴾ [1] (الأحزاب: 40). وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿(إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين ﴾ [2] [3] . ولهذه النصوص أجمعت الأمة سلفًا وخلفًا على هذه العقيدة كما أجمعت على تكفير من ادعى النبوة بعده ﷺ ووجوب قتل مدعيها إن أصر على ذلك. قال الألوسي: " وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصر ".

3 - أن الله أيده بأعظم معجزة وأظهر آية وهو القرآن العظيم، كلام الله المحفوظ من التغيير والتبديل، الباقي في الأمة إلى أن يأذن الله برفعه إليه. قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨ ﴾ [4] (الإسراء: 88). وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١ ﴾ [5] (العنكبوت: 51). وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ أنه

(1) سورة الأحزاب آية : 40 .
(2) البخاري المناقب (3342) ، مسلم الفضائل (2286) ، أحمد (312/2) .
(3) صحيح البخاري برقم (3535) ، ومسلم برقم (2286) ، واللفظ للبخاري .
(4) سورة الإسراء آية : 88 .
(5) سورة العنكبوت آية : 51 .

قال: ﴿ ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمـــن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكـــون أكثرهم تابعا يوم القيامة ﴾ [1] [2] .

4 - أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة. قال تعـــالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ [3] (آل عمران: 110).

وعن معاوية بن حيدة القشيري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقـــول في قوله تعالى ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [4] قال: ﴿ إنكم تتمون سبعين أمـــة أنتـــم خيرها وأكرمها على الله ﴾ [5] [6] . وفي الصحيحين عن عبد الله بن مســـعود قال: ﴿ كنا مع النبي ﷺ في قبة فقال: ( أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنـــة ). قلنا: نعم. قال: ( أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ). قلنـــا نعم. قـــال: ( أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة ). قلنا: نعم. قال: ( والذي نفس محمـــد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلـــها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلـــد الثـــور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر ) ﴾ [7] [8] .

---

(1) البخاري فضائل القرآن (4696) ، مسلم الإيمان (152) ، أحمد (451/2) .
(2) صحيح البخاري برقم (4981) ، ومسلم برقم (152) .
(3) سورة آل عمران آية : 110 .
(4) سورة آل عمران آية : 110 .
(5) الترمذي تفسير القرآن (3001) ، ابن ماجه الزهد (4288) ، الدارمي الرقاق (2760) .
(6) أخرجه أحمد في المسند : 4 / 447 ، والترمذي وقال حديث حسن ، والترمذي : 5 / 226 ، برقم (3001) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .
(7) البخاري الرقاق (6163) ، مسلم الإيمان (221) ، الترمذي صفة الجنة (2547) ، ابن ماجه الزهد (4283) ، أحمد (438/1) .
(8) صحيح البخاري برقم (6528) ، ومسلم برقم (221) .

5 - أنه سيد ولد آدم يوم القيامة. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ ﴿أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شـافع وأول مشفع﴾ (1) (2) .

6 - أنه صاحب الشفاعة العظمى وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربهم بعد أن يتدافعها أفضل الرسل وهي المقام المحمود المذكـور في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩﴾ (3) (الإسراء: 79). وقـد فسر المقام المحمود بالشفاعة جمع من الصحابة والتابعين منهم حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وقتـادة وغيرهم. وقال قتادة: " كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يـوم القيامة ". وقد دلت السنة كذلك على شفاعته ﷺ في أهل الموقف كما جـاء ذلك في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان مـن حديـث أبي هريرة عن النبي ﷺ ذكر اعتذار آدم ثم نوح ثم إبراهيـم ثم موسـى ثم عيسى عن قبول الشفاعة وكلهم يقول: (لست هناك) إلى أن قال: ﴿فيأتوني فأنطلق، فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له سـاجدا فـيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسـمع، وسـل تعطه، واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع﴾ (4) .. ) (5) الحديث.

7 - أنه صاحب لواء الحمد وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيامـة، ويكون الناس تبعا له وتحت رايته واختص به لأنه حمد الله بمحامد لم يحمـده بها غيره. ذكر هذا

---

(1) مسلم الفضائل (2278) ، أحمد (540/2) .

(2) أخرجه مسلم برقم (2278) . وتقدم صفحة 109 .

(3) سورة الإسراء آية : 79 .

(4) البخاري التوحيد (6975) ، مسلم الإيمان (193) ، ابن ماجه الزهد (4312) ، أحمد (116/3) ، الدارمي المقدمة (52) .

(5) صحيح البخاري برقم (3340) ، ومسلم برقم (193) .

بعض أهل العلم. وقد دلت السنة على اختصاصه بهـــذه الفضيلة العظيمة. فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿أنـــا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فـــخر، وما من نبي يومئـــذ آدم فمن سواه، إلا تحـــت لوائي، وأنا أول مـــن تنشـــق عنـــه الأرض ولا فخر﴾ [1] [2].

8 - أنه صاحب الوسيلة، وهي درجة عالية في الجنة، لا تكون إلا لعبـــد واحد، وهي أعلى درجات الجنة. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقـــول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى عليه الله بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منـــزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجـــو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة﴾ [3] [4].

إلى غير ذلك من خصائصه ومناقبه ﷺ الدالة على علو درجته عند ربـــه، وسمو مكـــانته في الدنيا والآخرة، وهي كثيرة جدا.

**ثانيا: حقوق النبي ﷺ على أمته:**

حقوق النبي ﷺ على أمته كثيرة وقد تقدم ذكر بعضها فيما يجب علـــى الأمة من حقوق عامة تجاه الرسل قاطبة. وفيما يلي عرض لبعض حقوقـــه الخاصة على أمته، وهي:

1- الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرســـالات السابقة. ومقتضى ذلك: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب مـــا نهى عنه وزجر، وأن

---

(1) الترمذي تفسير القرآن (3148) ، ابن ماجه الزهد (4308) .

(2) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، سنن الترمذي 5/ 587 برقم (3615) ، وبنحوه الإمام أحمد في المسند : 2/3

(3) مسلم الصلاة (384) ، الترمذي المناقب (3614) ، النسائي الأذان (678) ، أبو داود الصلاة (523) ، أحمد (168/2) .

(4) رواه مسلم برقم (384) .

لا يعبد الله إلا بما شرع. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ ﴾ [1] (التغابن: 8). وقال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [2] (الأعراف: 158). وقال عز وجــل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [3] (الحشر: 7). وعن ابن عمــر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم علــى الله ﴾ [4] [5] .

2 - وجوب الإيمان بأن الرسول ﷺ بلغ الرســالة، وأدى الأمانــة، ونصح للأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شــر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه. قال تعــالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [6] (المائدة: 3). وعــن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: (.. ﴿ وأيم الله لقد تركتكــم على مثل البيضــاء، ليلها ونهارها سواء ﴾ [7] [8] . وقد شهد للنبي بالبلاغ أصحابه في أكبر مجمع لهــم يوم أن خطبهم في حجة الوداع خطبته البليغة فبين لهم ما

---

(1) سورة التغابن آية : 8 .

(2) سورة الأعراف آية : 158 .

(3) سورة الحشر آية : 7 .

(4) البخاري الإيمان (25) ، مسلم الإيمان (22) .

(5) صحيح البخاري برقم (25) ، ومسلم برقم (22) .

(6) سورة المائدة آية : 3 .

(7) ابن ماجه المقدمة (5) .

(8) سنن ابن ماجه (المقدمة) : 1 / 4 ، برقم (5) .

أوجب الله عليـــهم وما حرم عليهم وأوصاهم بكتاب الله إلى أن قال لهم: ﴿وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون﴾ [1] . قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحـــت. فقـــال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: ﴿اللهم اشـــهد اللـــهم اشهد ثلاث مرات﴾ [2] [3] . وقال أبو ذر ﵁ (لقد تركنا محمد ﷺ وما يحـــرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما) [4] . والآثار في هذا كثيرة عـــن السلف رحمهم الله.

3 - محبته ﷺ وتقديم محبته على النفس وسائر الخلق. والمحبة وإن كـــانت واجبة لعموم الأنبياء والرسل إلا أن لنبينا ﷺ مزيد اختصاص بها ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأبنـــاء والآبـــاء وســـائر الأقارب بل مقدمة على محبة المرء لنفسه قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [5] (التوبة: 24). فقرن الله محبة رسوله ﷺ بمحبته ﷻ وتوعد من كان مالـــه وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله - توعدهم بقولـــه: ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [6] . وفي الصحيحين من حديث أنس ﵁

---

(1) مسلم الحج (1218) ، أبو داود المناسك (1905) ، ابن ماجه المناسك (3074) ، الدارمي المناسك (1850) .

(2) مسلم الحج (1218) ، أبو داود المناسك (1905) ، ابن ماجه المناسك (3074) ، الدارمي المناسك (1850) .

(3) أخرجه مسلم من حديث جابر عبد الله في حجة النبي برقم (1218) .

(4) أخرجه أحمد في المسند : 5 / 153 .

(5) سورة التوبة آية : 24 .

(6) سورة التوبة آية : 24 .

قال: قال النبي ﷺ ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ﴾ [1] [2] . وعن عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ ﴿ لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ﴾ [3] . فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي ﷺ ﴿ الآن يا عمر ﴾ [4] [5] .

4 - تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وإجلاله. فإن هذا من حقوق النبي ﷺ التي أوجبها الله في كتابه. قال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [6] (الفتح: 9). وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [7] (الأعراف: 157). قال ابن عباس: " تعزروه: تجلوه. وتوقروه: تعظموه ". وقال قتادة: " تعزروه: تنصروه. وتوقروه: أمر الله بتسويده ". وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ ﴾ [8] (الحجرات: 1). وقال عز وجل: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [9] (النور: 63). قال مجاهد: " أمرهم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد

---

(1) البخاري الإيمان (15) ، مسلم الإيمان (44) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5013) ، ابن ماجه المقدمة (67) ، أحمد (278/3) ، الدارمي الرقاق (2741) .

(2) صحيح البخاري برقم (15) ، ومسلم برقم (44) .

(3) البخاري الأيمان والنذور (6257) ، أحمد (293/5) .

(4) البخاري الأيمان والنذور (6257) ، أحمد (336/4) .

(5) رواه البخاري من حديث عبد الله بن هشام برقم (6632) .

(6) سورة الفتح آية : 9 .

(7) سورة الأعراف آية : 157 .

(8) سورة الحجرات آية : 1 .

(9) سورة النور آية : 63 .

في تجـــهم ". وقـــد ضرب أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثال في تعظيم النبي ﷺ . قال أسامة بـــن شريك: " أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما علـــى رؤوســـهم الطـــير ". وتعظيم النبي ﷺ واجب بعد موته كتعظيمه في حياته. قال القاضي عيـــاض: " واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وســـيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته ".

5 - والصلاة والتسليم على النبي ﷺ والإكثار من ذلك كمـــا أمـــر الله بذلك. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] (الأحزاب: 56). قال المبرد: " أصـــل الصـــلاة: الترحم. فهي من الله رحمة. ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة مـــن الله ". وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنـــه قـــال: ﴿ من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ﴾ [2] [3] . وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي ﴾ [4] [5] . والصـــلاة والسلام وإن كانت مشروعة في حق الأنبياء كلهم كما تقدم فهي متـــأكدة في حق نبينا ﷺ ومن أعظم حقوقه على أمته وهي واجبـــة عليـــهم ولـــذا ذكرناها هنا من جملة حقوقه الخاصة على أمته. وقد صرح العلماء بوجـــوب الصلاة على النبي ﷺ ونقل بعضهم الإجماع على ذلك. قال القاضي عياض:

---

(1) سورة الأحزاب آية : 56 .

(2) مسلم الصلاة (384) ، الترمذي المناقب (3614) ، النسائي الأذان (678) ، أبو داود الصلاة (523) ، أحمد (168/2) .

(3) رواه مسلم برقم (384) .

(4) الترمذي الدعوات (3546) ، أحمد (201/1) .

(5) رواه الترمذي 5 / 551 رقم (3546) وقال حديث حسن صحيح وأحمد في المسند : 1/ 201 .

"اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة، غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمله الأئمة والعلماء على الوجوب وأجمعوا عليه".

6 - الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السامية والدرجات العالية الرفيعة على ما تقدم بيان بعضها في أول هذا المبحث وغير ذلك مما دلت عليه النصوص. والتصديق بكل ذلك والثناء عليه به ونشره في الناس، وتعليمه للصغار وتنشئتهم على محبته وتعظيمه ومعرفة قدره الجليل عند ربه عز وجل.

7 - تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك فإن في ذلك أعظم الأذية له ﷺ . قال تعالى آمرًا نبيه ﷺ أن يخاطب الأمة بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [1] (الكهف: 110). وبقوله: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ ﴾ [2] (الأنعام: 50).

فأمر الله نبيه ﷺ أن يقرر للأمة أنه مرسل من الله ليس له من مقام الربوبية شيء وليس هو بـمَلَك إنما يتبع أمر ربه ووحيه. كما حذر النبي ﷺ أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه. ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله ﴾ [3] [4] . والإطراء: هو المدح بالباطل ومجاوزة الحد في المدح ذكره ابن الأثير. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فراجعه في بعض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله ﷺ ﴿ أجعلتني لله ندًّا بل ما

---

(1) سورة الكهف آية : 110 .

(2) سورة الأنعام آية : 50 .

(3) البخاري أحاديث الأنبياء (3261) ، أحمد (56/1) .

(4) صحيح البخاري برقم (3445) ، وبنحوه الإمام أحمد في المسند : 1 / 23 .

شاء الله وحده ﴾ [1] [2] . فحذر النبي ﷺ من الغلو فيه وإنــزاله فوق منــزلته، مما يختص بــه الرب عز وجــل. وفي هذا تنبيه إلى غير ما ذكر من أنواع الغلــو فإن الغلو في النبي ﷺ محرم بشتى صوره وأشكاله.

ومن صور الغلو في النبي ﷺ التي تصل إلى حدّ الشرك، التوجه له بالدعاء فيقول القائل: يا رسول الله افعل لي كذا وكذا. فإن هذا دعاء والدعاء عبادة لا يصح صرفها لغير الله. ومن صور الغلو فيه ﷺ الذبح له أو النــذر له أو الطواف بقبره أو استقبال قبره بصلاة أو عبادة فكل هذا محرم لأنه عبــادة وقد نهى الله عن صرف شيء من أنواع العبادة لأحد من المخلوقين فقال عــز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾ [3] (الأنعام: 162، 163).

8 - ومن حقوق النبي ﷺ محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجــب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم. فقال بعد أن ذكــر المــهاجرين والأنصار: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾ [4] (الحشر: 10). وقال تعالى في حق قرابة رسوله ﷺ وأهل بيته: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [5] (الشورى: 23). جاء

---

(1) ابن ماجه الكفارات (2117) ، أحمد (214/1) .
(2) رواه الإمام أحمد في المسند : 1 / 214 ، وبنحوه ابن ماجه في السنن برقم (2117) .
(3) سورة الأنعام آية : 162 ، 163 .
(4) سورة الحشر آية : 10 .
(5) سورة الشورى آية : 23 .

في تفسير الآية: " قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكـــم به أجرًا إلا أن تـــودوا قرابتي ". وأخرج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم ﷺ أن رســـول الله ﷺ قام خطيبًا في الناس فقال: ﴿ أما بعد ألا أيها الناس. فإنما أنـــا بشـــر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب فيـــه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ﴾ [1] . فحث على كتـــاب الله ورغب فيه ثم قال: ﴿ وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركـــم الله في أهل بيتي، أذكركـــم الله في أهل بيتي ﴾ [2] [3] . فأمر النبي ﷺ بالإحسان إلى أهـــل بيته وأن يعرف لهم قدرهم وحقهم، لقربهم منه وشرفهم. كما أوصى النبي ﷺ بأصحابه خيرًا ونهى عن سبّهم وتنقصهم فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكـــم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلـــغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ [4] [5] أخرجه الشيخان. وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليه كلمتهم محبة أصحاب رســـول الله ﷺ وقرابتـــه وأزواجه وما كانوا يعدون الطعن فيهم إلا علامة الزيغ والضلال. قال أبو زرعة: " إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله فاعلم أنـــه زنديق ". وقال الإمام أحمد: " إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا مـــن أصحـــاب رسول الله ﷺ (أي بسوء) فاتهمه على الإسلام ".

فهذه بعض حقوق النبي ﷺ على أمته على سبيل الإيجاز والاختصـــار والله تعالى الهادي لنا ولإخواننا على تأديتها والعمل بها.

---

(1) مسلم فضائل الصحابة (2408) ، أحمد (367/4) ، الدارمي فضائل القرآن (3316) .
(2) مسلم فضائل الصحابة (2408) ، أحمد (367/4) ، الدارمي فضائل القرآن (3316) .
(3) صحيح مسلم برقم (2408) .
(4) البخاري المناقب (3470) ، مسلم فضائل الصحابة (2541) ، الترمذي المناقب (3861) ، أبو داود السنة (4658) ، ابن ماجه المقدمة (161) ، أحمد (11/3) .
(5) صحيح البخاري برقم (3673) ، ومسلم برقم (2541) ، واللفظ للبخاري .

**ثالثًا: بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق:**

دلت السنة على إمكانية رؤية النبي ﷺ في المنام وأن من رآه في المنام فقد رآه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ ﴿من رآني في المنام فقد رآني. فإن الشيطان لا يتمثل بي﴾ [1] [2] أخرجه مسلم. وفي لفظ آخر أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي﴾ [3] [4] قال البخاري قال ابن سيرين: " إذا رآه في صورته ". وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿من رآني في النوم فقد رآني فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي﴾ [5] [6] رواه مسلم.

فدلت الأحاديث على صحة رؤية النبي ﷺ في المنام وأن من رآه فرؤياه صحيحة لأن الشيطان لا يتصور في صورة رسول الله ﷺ على أنه ينبغي أن يتنبه إلى أن الرؤية الصحيحة لرسول الله ﷺ هو أن يُرى على صورته الحقيقية المعروفة من صفاته، وإلا فلا تكون الرؤية صحيحة ولذا قال ابن سيرين: " إذا رآه في صورته " كما تقدم النقل عنه من صحيح البخاري. ولذا أورد البخاري قول ابن سيرين بعد ذكر الحديث على سبيل التفسير لمعنى الرؤية في الحديث. ويشهد لهذا ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم بن كليب: حدثني أبي قال: قلت لابن عباس رأيت النبي ﷺ في

---

(1) البخاري العلم (110) ، مسلم الرؤيا (2266) ، الترمذي الرؤيا (2280) ، أبو داود الأدب (5023) ، ابن ماجه تعبير الرؤيا (3901) ، أحمد (232/2) .

(2) صحيح مسلم برقم (2266) .

(3) البخاري التعبير (6592) ، مسلم الرؤيا (2266) ، الترمذي الرؤيا (2280) ، ابن ماجه تعبير الرؤيا (3901) ، أحمد (232/2) .

(4) صحيح البخاري برقم (6993) ، ومسلم برقم (2266) .

(5) مسلم الرؤيا (2268) .

(6) مسلم برقم (2268) .

المنام. قال: صفه لي. قال: ذكرت الحسن بن علي فشبهته به. قال: إنه كان يشبهه [1] . قال ابن حجر سنده جيد.

وعن أيوب قال: " كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال: صف لي الذي رأيته. فإن وصف له صفة لا يعرفها قال: لم تره " نقله ابن حجر في الفتح وقال: سنده صحيح.

وأما قول النبي ﷺ ﴿من رآني في المنام فسيراني في اليقظة﴾ [2] ، فللعلماء في تفسير الرؤية في اليقظة أقوال أشهرها ثلاثة:

الأول: أنها على التشبيه والتمثيل وقد دل على هذا ما جاء في رواية مسلم من حديث أبي هريرة وفيها: ﴿فكأنما رآني في اليقظة﴾ [3] .

الثاني: أنها خاصة بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

الثالث: أنها تكون يوم القيامة. فيكون لمن رآه في المنام مزيد خصوصية على من لم يره في المنام. هذا والله تعالى أعلم.

---

(1) المستدرك : 4 / 393 ، وصححه ووافقه الذهبي .

(2) البخاري التعبير (6592) ، مسلم الرؤيا (2266) ، الترمذي الرؤيا (2280) ، ابن ماجه تعبير الرؤيا (3901) ، أحمد (232/2) .

(3) ابن ماجه تعبير الرؤيا (3904) .

## المبحث السابع: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده

تقدم الحديث عن هذه المسألة مع ذكر الأدلة عليها عند الحديث عـــن خصائص النبي ﷺ وأنه خاتم النبيين والحديث عن ختم الرسالة هنا هو مـــن جانب آخر وهو أثر هذه العقيدة على دين المسلمين وثمرة تقريرها عليـــهم. فمن ثمار هذه العقيدة:

1 - استقرار التشريع وكمال الدين لدى الأمة وأثر ذلك الكبير في حيـــاة الأمة ولذا امتن الله على هذه الأمة بذلك في قوله تعـــالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [1] (المـــائدة: 3).

وقد كان نـــزول هذه الآية على النبي ﷺ في حجة الوداع قبل وفاته بأشـــهر بعد أن أكمل الله له التشريع. ولذا كان اليهود يغبطون المسلمين على هـــذه الآية على ما أخرج الشيخان أن رجلا من اليهود جاء إلى عمر رضي الله عنه فقـــال: (آية في كتابكم تقرؤوها لو نـــزلت علينا معشر يهود لاتخذنا ذلك اليـــوم عيدا). قال وأي آية ؟ قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[2] ) [3] . وقد أبرز النبي ﷺ الحقيقة في صورة محسوسة وذلك بتشبيهه الرسالات قبلـــه بقصـــر أكـــمل وأحسن بناؤه إلا موضع لبنة، فكانت بعثته موضع تلك اللبنة ختم بهـــا البناء، وفي هذا تقرير ظاهر إلى أنه لم يبق مجال للزيادة في هذا الدين خاصـــة ولا الرسالات عامة كما أنه لا يمكن الزيادة في ذلك القصر بعد أن اكتمل بناؤه. وقد تقدم الحديث بنصه في المبحث السابق ضمن الحديث عـــن خصائص النبي صلى الله علي وسلم فليراجع في موضعه. [4] .

---

(1) سورة المائدة آية : 3 .

(2) سورة المائدة آية : 3 .

(3) صحيح البخاري برقم (45) ، ومسلم برقم (3017) .

(4) انظر ص170 .

2 - ثقة الأمة بعدم نسخ هذا الدين وشريعة محمد ﷺ ببعثه نبيا آخر " ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام أنه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته، وأما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفا بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك، على أن عيسى عليه السلام إذا نزل إنما يتعبد بشريعة نبينا ﷺ دون شريعته المتقدمة لأنها منسوخة فلا يتعبد إلا بهذه الشريعة أصولا وفروعا ".

3 - القطع بتكذيب كل مدع للنبوة بعده عليه الصلاة والسلام دون نظر أو تأمل، وهذا من أبرز ثمرات الإيمان بعقيدة ختم النبوة التي تحصل بها العصمة للأمة من اتباع من ادعى النبوة من الدجالين الكذابين، ولهذا كان التنبيه على هذا الأمر العظيم هو من أعظم مقاصد النبي ﷺ في تقريره اعتقاد ختم النبوة به وذلك بإخباره عن خروج كذابين ثلاثين في هذه الأمة كلهم يدعي النبوة ثم تقريره أنه لا نبي بعده تحذيرا للأمة من تصديقهم واتباعهم. كما جاء هذا في حديث ثوبان ﷺ في الفتن مرفوعا للنبي ﷺ وفيه: (... ﴿ وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ﴾ [1] [2] .

4 - ظهور فضل الأمراء والعلماء من هذه الأمة حيث جعل سياسة الأمة في الدين والدنيا لهم بخلاف بني إسرائيل فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ ( كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء تكثر ). قالوا: فما تأمرنا ؟ قال: ( فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم ) ﴾ [3] [4] . فكان مقام الخلفاء في

---

(1) الترمذي الفتن (2219) ، أبو داود الفتن والملاحم (4252) .

(2) سنن الترمذي 4 / 499 وقال حديث حسن صحيح ، وبنحوه أبو داود عن أبي هريرة سنن أبي داود 4 / 329 برقم (4333- 4334) .

(3) البخاري أحاديث الأنبياء (3268) ، مسلم الإمارة (1842) ، أحمد (297/2) .

(4) صحيح البخاري برقم (3455) ، وصحيح مسلم برقم (1842) ، واللفظ له .

الأمة مقام الأنبياء في بني إســـرائيل في سياسة الناس وقيادتهم. وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة ســـنة مـــن يجـــدد لهـــا دينها ﴾ [1] [2] . وواقع الأمة يشهد بهذا فلا يزال أمر الدين والدنيا محفوظا بالخلفـــاء والأمراء والعلماء الذين يسوسون الناس بالشرع، ولا يزال الله تعالى يجـــدد لهذه الأمة ما اندرس من معالم دينها على مر العصـــور والدهـــور بالأئمـــة المجددين الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فدين الله بهم قائم غضا طريا على تطاول عهد البعثة وتقادم زمـــن الرسالة. وذلك فضل الله على هذه الأمة عامة ومن شرفه بهذا المقام خاصة.

وعلى كل حال فعقيدة ختم النبوة وآثارها في الدين من أبرز خصـــائُص هذه الأمة التي أكسبتها قوة الإيمان بدينها وصدق اليقين به ورسوخ القدم في الثبات عليه، إلى أن يأتي أمر الله.

---

(1) أبو داود الملاحم (4291) .

(2) رواه أبو داود 4/ 313 برقم (4291) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، المستدرك 4/ 522 .

## المبحث الثامن: الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدلته

### تعريف الإسراء لغة وشرعا:

الإسراء في اللغة: من السرى وهو: سير الليل أو عامته. وقيل: سير الليـــل كله.

ويقال: سريت، وأسريت. ومنه قول حسان:

أســـرت إليـــك ولـــم تكن تســـري

والإسراء إذا أطلق في الشرع يراد به: الإســـراء برســـول الله ﷺ مـــن المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس بإيليا ورجوعه من ليلته.

### حقيقة الإسراء وأدلته:

والإسراء آية عظيمة أيد الله بها النبي ﷺ قبل الهجرة حيث أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبا على البراق بصحبة جـــبريل عليه السلام حتى وصل بيت المقدس، فربط البراق بحلقة باب المســـجد، ثم دخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء إماما، ثم جاءه جبريل بإناء من خمر وإنـــاء من لبن فاختار اللبن على الخمر فقال له جبريل: هديت للفطرة. وقـــد دل على الإسراء الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ [1] (الإسراء: 1).

ومن السنة حديث أنس بن مالك الذي أخرجه مسلم في صحيحه مـــن طريق ثابت البناني عن النبي ﷺ قال: ﴿ أتيت بالبراق " وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه " قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبيـــاء، قـــال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن. فقـــال جـــبريل ﷺ

(1) سورة الإسراء آية : 1 .

اخترت الفطرة ﴾ [1] [2] . ثم ذكر بقية الحديث وعروجه إلى السماء. وقد دل على الإسراء برسول الله ﷺ عدة أحاديث منها ما جاء في الصحيحين ومنها ما جاء في السنن وغيرها وقد رواه عن رسول الله ﷺ جمع من الصحابة نحو الثلاثين رجلا ثم تناقلها عنهم مالا يحصي عددهم إلا الله من رواة السنة وأئمة الدين.

وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين سلفا وخلفا وانعقد إجماعهم على صحة الإسراء برسول الله ﷺ وأنه حق. نقل الإجماع على ذلك القاضي عياض في (الشفاء) والسفاريني في (لوامع الأنوار). والإسراء كان بروح النبي ﷺ وجسده، يقظة لا مناما. فهذا هو الذي دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه عامة الصحابة وأئمة أهل السنة والمحققين من أهل العلم.

قال ابن أبي العز الحنفي: (وكان من حديث الإسراء: أنه أسري بجسده في اليقظة على الصحيح من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.. ). وقال القاضي عياض مقررا أن هذا هو الذي عليه عامة أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم: (وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حبة البدري، وابن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، وهو دليل قول عائشة، وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين، وقول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين).

وقال أحد المحققين الأفذاذ في نقده لقول من زعم أن الإسراء مرتان: (والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة. ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين

---

(1) البخاري بدء الخلق (3035) ، مسلم الإيمان (162) ، النسائي الصلاة (448) ، أحمد (149/3) .

(2) صحيح مسلم برقم (162) .

ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا ثم يقول: (أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي) ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها عشرا عشرا).

**المعراج وحقيقته:**

الحديث عن المعراج هو قرين الحديث عن الإسراء في النصوص وكلام أهل العلم ولذا كان من المناسب التعريف به تتميما للفائدة.

والمعراج: مفعال من العروج. أي الآلة التي يعرج فيها، أي يصعد. وهو منزلة السلم لكن لا نعلم كيفيته. والمقصود بالمعراج عند الإطلاق في الشرع: هو صعود النبي ﷺ بصحبة جبريل عليه السلام من بيت المقدس إلى السماء الدنيا ثم باقي السماوات إلى السماء السابعة ورؤية الأنبياء في السماوات على منازلهم وتسليمه عليهم وترحيبهم به، ثم صعوده إلى سدرة المنتهى، ورؤيته جبريل عندها على الصورة التي خلقه الله عليها، ثم فرض الله عليه الصلوات الخمس تلك الليلة وتكليم الله له بذلك ثم نزوله إلى الأرض. وكان المعراج ليلة الإسراء على الصحيح.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على المعراج. أما الكتاب فقد جاء فيه ذكر بعض الآيات العظيمة التي حصلت للنبي ﷺ ليلة المعراج كقوله تعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨ ﴾ [1] (النجم: 12-18). فذكر الله تعالى في هذا السياق الآيات العظيمة التي أكرم بها رسوله ﷺ ليلة المعراج كرؤيته جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى، ورؤيته سدرة المنتهى وقد غشاها ما غشاها من أمر الله. قال ابن عباس ومسروق: " غشيها فراش من ذهب".

---

(1) سورة النجم آية : 12 - 18 .

وقد جاء في السنة خبر المعراج مفصلا في أكثر من حديث منها حديـــث أنس المتقدم في قصة الإسراء والذي سبق نقل ما يتعلق بالإسراء منه ثم قـــال النبي ﷺ ﴿ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت ؟ قـــال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعـــث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير﴾ [1] . (ثم ذكر عروجه إلى السماوات وملاقاته الأنبياء إلى أن قال): ﴿ثم ذهب بي إلى سدرة المنتـــهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، إذا ثمارها كالقلال. قال: فلما غشيها من الله مـــا غشيها تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتـــها من حســـنها. فأوحى الله إلي ما أوحى. ففرض علي خمسين صلاة في كل يـــوم وليلـــة، فنـــزلت إلى موسى ﷺ . فقال: ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت: خمســـين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلـــك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي. فقلت: يـــا رب خفف على أمتي. فحـــط عني خمسا. فرجعت إلى موسى. فقلت: حـــط عـــني خمسا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجـــع إلى ربك فاسأله التخفيـــف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد. إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلـــك خمسون صلاة﴾ [2] .. ) [3] الحديث. أخرجه مسلم وقد جاء خبر المعراج بألفـــاظ متقاربة من حديث مالك بن صعصعة وأبي ذر وابن عباس في الصحيحـــين وغيرهما.

**تنبيه:**

الإسراء والمعراج من الآيات العظيمة التي أكرم الله بها نبيه ﷺ والواجـــب على المسلم اعتقاد صحتهما وأنهما منقبتان عظيمتان اختص الله بهما نبينـــا ﷺ من بين الرسل ولا

---

(1) البخاري بدء الخلق (3035) ، مسلم الإيمان (162) ، النسائي الصلاة (448) ، أحمد (149/3) .

(2) البخاري بدء الخلق (3035) ، مسلم الإيمان (162) ، النسائي الصلاة (448) ، أحمد (149/3) .

(3) صحيح مسلم برقم (162) .

يشرع للمسلم الاحتفال بذكرى الإسراء والمعـــراج كما لا تشرع لهما صلاة خاصة كما يفعله بعض عوام المسلمين، بل كـــل ذلك بدع منكرة لم يشرعها النبي ﷺ ولم يفعلها أحد من السلف ولم يقـــل بها أحد ممن يقتدي به في العلم.

وقد بين العلماء من أهل السنة أن صلاة ليلة سبع وعشرين من شـــهر رجب وأمثالها: (من البدع التي أحدثت في دين الله، وأنه عمل غير مشروع باتفاق أئمة الإسلام ولا ينشئ مثل هذا إلا جاهل مبتدع). وقد قال ﷺ ﴿من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد﴾ [1] [2] أي مردود عليه.

(1) البخاري الصلح (2550) ، مسلم الأقضية (1718) ، أبو داود السنة (4606) ، ابن ماجه المقدمة (14) ، أحمد (270/6) .

(2) صحيح مسلم برقم (2697) .

## المبحث التاسع: القول في حياة الأنبياء عليهم السلام

دلت الأدلة على موت الأنبياء إلا ما وردت النصوص باستثنائه كعيســـى عليه السلام فإنه لم يمت بعد وإنما رفـــع إلى الله تعالى حيا على مـــا ســـيأتي بيانه.

فمن الأدلة على موت الأنبياء قوله تعـــالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ [1] (البقرة: 133). وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولاً ۚ ﴾ [2] (غافر: 34). وقال تعالى عن سليمان عليه الســـلام: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ ﴾ [3] (سبـــأ: 14). وقال تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [4] (الزمر: 30). قال بعض المفسرين نعيت للنبي ﷺ نفسه ونعيت إليهم أنفســـهم ففي الآية الإعلام للصحابة بأنه يموت. وقال تعالى مخبرا عن موت كل نفس مخلوقة: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾ [5] (آل عمران: 185).

فدلت هذه الآيات على موت الأنبياء وأنهم يموتون كما يموت بقية البشر إلا ما أخبر به الله ﷻ عن عيسى عليه السلام من رفعه إليه كما قـــال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [6] (آل عمران: 55). فدلت الآية على رفع الله تعـــالى لعيســـى بجسده وروحه إلى السماء وأنه لم يمت، وأما الوفاة

(1) سورة البقرة آية : 133 .
(2) سورة غافر آية : 34 .
(3) سورة سبأ آية : 14 .
(4) سورة الزمر آية : 30 .
(5) سورة آل عمران آية : 185 .
(6) سورة آل عمران آية : 55 .

المذكورة في الآية في قوله تعالى ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ [1] فقد جاء في تفسير الآية أن: " توفيه هو رفعه إليه "، وإلى ذلك ذهب ابن جرير الطبري. وأكثر المفسرين على أن الوفاة المذكورة هي النوم، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [2] (الزمر: 42).

فتقرر بهذا أن عيسى حي الآن في السماء لم يمت، وقد أخبر الله عن موته قبل قيام الساعة. قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [3] (النساء: 159). والموت المذكور هنا هو موت عيسى عليه السلام في آخر الزمان بعد أن ينزل من السماء فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة في نزول عيسى في آخر الزمان وقد جاءت تلك الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

وممن قيل إنه لم يمت من الأنبياء إدريس عليه السلام، فقد ذكر بعض أهل العلم أنه لم يمت وإنما رفعه الله كما رفع عيسى عليه السلام واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [4] (مريم: 56، 57). فعن مجاهد قال: إدريس رفع فلم يمت كما رفع عيسى. وعن ابن عباس قال: رفع إلى السماء فمات بها. وقال آخرون: رفع إلى السماء الرابعة والعلم في ذلك عند الله تعالى. وإنما القصد حصول الخلاف بين أهل العلم في موت إدريس من عدمه، هذا مع القطع بأنه إن لم يمت فلا بد أن يموت لعموم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾ [5] .

---

(1) سورة آل عمران آية : 55 .
(2) سورة الزمر آية : 42 .
(3) سورة النساء آية : 159 .
(4) سورة مريم آية : 56 ، 57 .
(5) سورة آل عمران آية : 185 .

وأما ما عدا عيسى وإدريس عليهما السلام من الرسل فلم يقل أحد من أهل العلم المعتد بقولهم في الأمة بحياة أحد منهم لما تقدم مـــن النصـــوص وللواقـــع المشاهد من موتهم. لكن جاء في بعض النصوص ما أشكَل فهمه على البعض في هذا الباب مثل ما جاء عن النبي ﷺ في أحاديث المعراج مـــن رؤيته لبعض الرسل في السماء وتكليمه لهم على ما جاء في حديث أنس الذي أخرجه الشيخان وفيه: ﴿ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت ؟ قال جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليـــه.. قال: قد بعث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنـــت ؟ قـــال جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه. قال: قد بعـــث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلـــوات الله عليهما. فرحبا بي ودعوا لي بخير﴾ [1] [2] إلى آخر الحديث وقد ذكر فيه رؤيا يوسف في السماء الثالثة وإذا هو أعطي شطر الحسن ورؤيـــاه إدريـــس في السماء الرابعة وهارون في السماء الخامسة وموسى في الســـماء السادســـة ورؤيته إبراهيم في السماء السابعة مسندا ظهره إلى البيت المعمـــور وأنهـــم كلهم رحبوا به ودعوا له بخير.

ومثل ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين عـــن النبي ﷺ أنه قال: ﴿رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا كأنه مـــن رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربـــوع الخلـــق إلى الحمـــرة والبياض سبط الرأس﴾ [3] ... ) [4] الحديث.

---

(1) البخاري بدء الخلق (3035) ، مسلم الإيمان (162) ، النسائي الصلاة (448) ، أحمد (149/3) .

(2) صحيح البخاري برقم (3570) ، ومسلم برقم (162) .

(3) البخاري بدء الخلق (3067) ، مسلم الإيمان (165) ، أحمد (309/1) .

(4) صحيح البخاري برقم (3239) ، ومسلم برقم (165) .

ففهم بعض الناس من هذه النصوص ومن غيرها مما يماثلها عدم مـــوت الأنبياء فاستدلوا بها على ما اعتقدوه من حياة الأنبياء. والحق أن الأنبيـــاء ماتوا إلا ما وردت به النصوص في حق عيسى عليه السلام وما اختلف فيـــه من أمر إدريس عليه السلام. وأما من عداهما فقد دلت النصوص علـــى موتهم قطعا ولا شك في ذلك. وقد سبق نقل الأدلة عليه. وأما ما جـــاء في الأحاديث من إخبار الرسول ﷺ عن رؤية الرسل ليلة المعراج وما جاء في معناه من النصوص الأخرى فحق ولا تعارض بين النصوص في ذلك. وذلك أن الذي رآه الرسول ﷺ هي أرواح الرسل مصورة في صور أبدانهم، وأمـــا أجسادهم فهي في الأرض إلا من جاءت النصوص برفعهم، وهذا هو الـــذي عليه الأئمة المحققون من أهل السنة.

قال أحد الأئمة الراسخين في تحقيق هذه المسألة: (وأما رؤيته غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء لما رأى آدم في السماء الدنيـــا، ورأى يحـــيى وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة وإدريس في الرابعة، وهـــارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، أو بالعكس، فـــهذا رأي أرواحهم مصورة في صور أبدانهم. قد قال بعض النـــاس: لعلـــه رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور، وهذا ليس بشيء. لكن عيسى صعـــد إلى السماء بروحه وجسده، وكذلك قيل في إدريس. وأما إبراهيم وموســـى، وغيرهما فهم مدفونون في الأرض).

وعلى أنه ينبغي أن يقرر هنا أن الله تعالى كما أكرم رسله برفع أرواحهم إلى السماء فهي تنعم على ما شاء الله فإنه حفـــظ أجســـادهم في الأرض، وحرم على الأرض أن تأكل أجسادهم على ما ثبت ذلك من حديـــث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿إن من أفضل أيامكـــم يوم الجمعـــة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن

صلاتكم معروضة علي ﴾ [1] . فقـــالوا: يـــا رسول الله. وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ قال: يقول: بليـــت. قال: ﴿ إن الله ﷻ حرم على الأرض أجساد الأنبياء ﴾ [2] [3] .

وبهذا يتبين الحق في هذه المسألة المهمة وما يجـــب على المسلم اعتقاده فيها والله تعالى أعلم.

---

(1) النسائي الجمعة (1374) ، أبو داود الصلاة (1531) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1636) ، أحمد (8/4) ، الدارمي الصلاة (1572) .

(2) النسائي الجمعة (1374) ، أبو داود الصلاة (1047) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1636) ، أحمد (8/4) ، الدارمي الصلاة (1572) .

(3) رواه أحمد في المسند : 4 / 8 وأبو داود في السنن 1 / 443 برقم (1047) والدارمي في السنن 1 / 307 برقم (1580) ، وقال الإمام النووي إسناده صحيح .

## المبحث العاشر: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء

**التعريف بالمعجزة:**

المعجزة: مأخوذة من العجز. وهو عدم القدرة.

جاء في القاموس: ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحـــدي والهاء للمبالغة.

والمعجزة في الاصطلاح: أمر خارق للعادة يجري على أيـــديَ الأنبيـــاء للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة.

فقولنا: خارق للعادة: أخرج ما ليس بخارق للعادة مثل ما يصدر من الأنبياء من الأفعال والأحوال الطبيعية فهي ليست بمعجزات. وقولنا: يجـــري على أيدي الأنبياء: أخرج الأمور الخارقة التي تجري على أيدي الأوليـــاء فهي ليست بمعجزات وإنما هي كرامات، لمتابعتهم للأنبياء ويخرج من بـــاب أولى ما يأتي به السحرة والكهان من الشعبذة فهذه لا تصدر إلا من شرار الخلق. وقولنا للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة: أخرج ما يدعيـــه المتنبئون الكذابون من الأمور الخارقة وكذلك السحرة فإنها لا تسلم مـــن المعارضة بل يعارضها أمثالهم من السحرة لأنها من قبيل السحر والشعبذة.

**أمثلة لبعض معجزات الأنبياء:**

ومعجزات الأنبياء كثيرة:

فمن معجزات صالح عليه السلام أن قومه طلبوا منه أن يخرج لهم من صخرة عينوها له ناقة ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربه بذلك فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة على الوجه الذي طلبـــوا [1] . يقول الله تعالى في ذلك: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ

(1) تفسير ابن كثير (3 / 436) .

نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [1] (الأعراف: 73).

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام جعل الله النار التي أشعلها قومه لتعذيبه وإهلاكه ثم ألقوه فيها بردا وسلاما عليه. قال تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [2] (الأنبياء: 68- 70).

ومن معجزات موسى عليه السلام العصا التي كانت تتحول إلى حية عظيمة إذا ألقاها إلى الأرض. قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [3] (طه: 17- 21).

ومن معجزات موسى أيضا أنه كان يدخل يده في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلألأ كالقمر من غير سوء. قال تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4] (طه: 22).

ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتكون طيورا بإذن الله، ويمسح الأكمه -وهو الأعمى- والأبرص فيبرآن بإذن الله، وينادي الموتى في قبورهم فيجيبون بإذن الله. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ

---

(1) سورة الأعراف آية : 73 .

(2) سورة الأنبياء آية : 68 ، 70 .

(3) سورة طه آية : 17 - 21 .

(4) سورة طه آية : 22 .

بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ [1] (المائدة: 110).

ومن معجزات نبينا ﷺ القرآن العظيم وهو أعظم معجزات الرسل علـــى الإطلاق. قال تعـــالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] (البقرة: 23). وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [3] (الإسراء: 88). ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر عندما سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر شقين فرآه أهل مكة ورآه غيرهم. قال تعـــالى ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [4] ( القمر: 1، 2). ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعـــراج. قـــال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [5] (الإسراء: 1).

ومعجزات الرسل كثيرة خصوصا معجزات نبينا محمد ﷺ فإن الله أيـــده بكثير من الآيات والبراهين التي لم تجتمع لنبي قبله وما سقته هنا إنمـــا هـــو للتمثيل فقط.

**التعريف بالكرامة:**

الكرامة: أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لهـــا تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمـــل الصالح.

فقولنا: أمر خارق للعادة: أخرج ما كان على وفق العادة من أعمال.

---

(1) سورة المائدة آية : 110 .

(2) سورة البقرة آية : 23 .

(3) سورة الإسراء آية : 88 .

(4) سورة القمر آية : 1 ، 2 .

(5) سورة الإسراء آية : 1 .

وغير مقرون بدعوى النبوة: أخرج معجزات الأنبياء.

ولا هو مقدمة لها: أخرج الإرهاص وهو كل خارق تقَدم النبوة.

ويظهر على يد عبد ظاهر الصلاح..: أخرج ما يجري علـــى أيـــدي السحرة والكهان فهو سحر وشعبذة.

وكرامات الأولياء كثيرة منها ما ثبت في حق بعض الصالحين من الأمـــم الماضية. ومن ذلك ما أخبر الله به عن مريم عليها السلام. قـــال تعـــالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ [1] (آل عمران: 37).

ومنها: ما أخبر الله به عن أهل الكهف على ما قص الله ذلك في كتابه.

ومن كرامات الأولياء من هذه الأمة ما ثبت في حق أسيد بن حضير ﷺ أنه كان يقرأ سورة الكهف فترل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نـــزلت لقراءته. وكانت الملائكة تسلم على عمـــران بـــن حصين رضي الله عنه. وكـــان سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما يأكلان في صحفـــة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها. وخبيب بن عدي ﷺ كان أسيرا عنـــد المشركَين بمكة شرفها الله تعالى وكـــان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكـــة عنبـــة.

ومر العلاء الحضرمي ﷺ بجيشه فوق البحر على خيولهم فما ابتلت ســـروج خيولهم. ووقـــع أبو مسلم الخولاني رحمه الله في أسر الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله ؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمـــدا رسول الله ؟ قال: نعم. فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه يصلـــي فيـــها وقـــد صارت بردا وسلاما، وغير ذلك كثير مما هو منقـــول في كتـــب الســـير والتاريخ.

**الفرق بين المعجزة والكرامة:**

---

(1) سورة آل عمران آية : 37 .

الفرق بين المعجزة والكرامة: أن المعجزة تكــون مقرونة بدعوى النبــوة. بخلاف الكرامة فإن صاحبها لا يدعي النبوة وإنما حصلت له الكرامة باتباعَ النبي والاستقامة على شرعه. فالمعجزة للنبي والكرامة للولي. وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

وذهب بعض الأئمة من العلماء: إلى أن كرامات الأولياء في الحقيقــة تدخل في معجزات الأنبياء لأن الكرامات إنما حصلـــت للـــولي باتبـــاع الرسول، فكل كرامة لولي هي من معجزات رسوله الذي يعبد الله بشرعه.

ومن هذا يتبين أن إطلاق المعجزة على خوارق الأنبياء والكرامة علـــى خوارق الأولياء معنيان اصطلاحيان ليسا موجودين في الكتاب والسنة وإنمـــا اصطلح عليهما العلماء فيما بعد وإن كانا في مدلولهما يرجعان إلى ما تقـــرر في النصوص من الحق.

**حكم الإيمان بالمعجزات والكرامات:**

الإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء أصل من أصول الإيمان دلـــت عليه نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد فيجب على المسلم اعتقاد صحة ذلك وأنه حق. وإلا فالتكذيب بذلك أو إنكـــار شـــيء منـــه رد للنصوص ومصادمة للواقع وانحراف كبير عما كان عليه أئمة الدين وعلمـــاء المسلمين في هذا الباب. والله تعالى أعلم.

## المبحث الحادي عشر: الولي والولاية في الإسلام

### تعريف الولي والولاية:

الولاية: ضد العداوة. وأصل الولاية: المحبة والقَرب. وأصل العداوة: البغض والبعد.

والولاية في الاصطلاح: هي القرب من الله بطاعته.

والولي في الشرع: هو من اجتمع فيه وصفان: الإيمان والتقوى. قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [1] (يونس: 62، 63).

### تفاضل الأولياء:

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى فمن كان أكمل إيمانا وتقوى كان أكمل ولاية لله. فالناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى.

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وأفضل أولي العزم محمد ﷺ - على ما تقدم ذلك في موضعه - ثم إبراهيم عليه السلام. ثم اختلف الناس في المفاضلة بين الثلاثة الباقين.

### أقسام أولياء الله:

وأولياء الله على قسمين:

القسم الأول: سابقون مقربون.

القسم الثاني: أصحاب يمين مقتصدون.

وقد ذكرهم الله تعالى في عدة مواضع من كتابه. قال تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾

---

(1) سورة يونس آية : 62 ، 63 .

فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [1] (الواقعة: 1- 12).

فذكر ثلاثة أصناف. صنفا في النار وهم أصحاب الشمال وصنفين في الجنة وهما: أصحاب يمين وسابقون مقربون. وقد ذكرهما أيضا في آخر هذه السورة وهي سورة الواقعة فقال: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ [2] (الواقعة: 88- 91). وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء المشهور وهو حديث قدسي يرويه النبي ﷺ عن ربه وقد أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿ إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذيَ يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ﴾ [3] [4] . فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه تعالى بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات. وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه تعالى بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فلما تقربوا إلى الله بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم

---

(1) سورة الواقعة آية : 1 - 12 .
(2) سورة الواقعة آية : 88 - 91 .
(3) البخاري الرقاق (6137) .
(4) صحيح البخاري برقم (6502) .

الرب حبا تاما وعصمهم من الذنوب واستجاب دعـــاءهم كما قال تعالى: ﴿ولا يزال عبديَ يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبـــه﴾ [1] .. ) إلى آخر ما ذكر في الحديث.

(1) البخاري الرقاق (6137) .

**لا يختص أولياء الله بلباس ولا هيئة:**

وأولياء الله لا يتميزون عن غيرهم من الناس في الظاهر بلباس ولا بهيئة على ما هو مقرر عند أهل العلم والتحقيق من أهل السنة.

قال بعض الأئمة المصنفين في الأولياء: (وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان مباحا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفره إذا كان مباحا. كما قيل كم من صديق في قباء، وكم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن، وأهل العلم، يوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجارة والصناع والزراع).

**بطلان ما قد يعتقد فيهم من الغلو:**

وأولياء الله ليسوا معصومين ولا يعلمون الغيب وليس لهم قدرة على التصرف في الخلق والرزق ولا يدعون الناس إلى تعظيمهم أو صرف شيء من الأموال والعطايا لهم ومن فعل ذلك فليس بولي لله بل كذاب أفاك ولي للشيطان. والله تعالى أعلم.

## الفصل الرابع:

## الإيمان باليوم الآخر

### وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أشراط الساعة وأنواعها.

المبحث الثاني: نعيم القبر وعذابه. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك.

المطلب الثاني: وقوعه على الروح والجسد معا.

المطلب الثالث: الإيمان بالملكين منكر ونكير.

المبحث الثالث: الإيمان بالبعث. وفيه مطالب:

المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته.

المطلب الثاني: أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر.

المطلب الثالث: الحوض صفته وأدلته.

المطلب الرابع: الميزان صفته وأدلته.

المطلب الخامس: الشفاعة تعريفها وأنواعها وأدلتها.

المطلب السادس: الصراط صفته وأدلته.

المطلب السابع: الجنة والنار صفتهما وكيفية الإيمان بهما وأدلة ذلك.

## المبحث الأول

## أشراط الساعة وأنواعها

### تعريف أشراط الساعة:

الأشراط: جمع شرط وهو: العلامة. وقيل أشراط الشيء: أوائله.

جاء في لسان العرب: والاشتقاقان متقاربان لأن علامة الشيء أوله.

والساعة: جزء من أجزاء الزمن، ويعبر به عن القيامة. قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [1] (الزخرف: 85). والساعة من أشهر أسماء يوم القيامة في النصوص الشرعية وكلام الناس، وسمي ذلك اليوم بالساعة: لأنه يأتي بغتة فيفاجأ الناس في ساعة.

وأشراط الساعة: علاماتها وأماراتها التي تقع قبل قيامها. قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ ﴾ [2] (محمد: 18).

### أقسام أشراط الساعة:

أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول: الأمارات البعيدة:** وهي التي ظهرت وانقضت.

منها بعثة الرسول ﷺ على ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ بعثت أنا والساعة كهاتين. وضم السبابة والوسطى ﴾ [3] [4].

---

(1) سورة الزخرف آية : 85 .

(2) سورة محمد آية : 18 .

(3) البخاري الرقاق (6139) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2951) ، الترمذي الفتن (2214) ، أحمد (237/3) ، الدارمي الرقاق (2759) .

(4) صحيح البخاري برقم (6504) ، وصحيح مسلم برقم (2951) .

ومنها انشقاق القمر على ما أخبر الله في كتابه، قال تعـالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ ﴾ [1] (القمر: 1).

ومنها خروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى علـى ما أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قـال: ﴿ لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجـاز تضـيء أعنـاق الإبـل ببصرى ﴾ [2] [3]. وقد خرجـت هذه النار على ما أخبر النبي ﷺ في مسـتهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وكان خروجها من شرقي المدينة النبوية وسالت بسببها أودية من نار وارتاع الناس منها ورأى ضوءها أهـل الشام ورأى أهل بصرى - وهي إحدى قرى دمشق-، أعنـاق الإبـل في ضوئها كـما أخبر النبي ﷺ .

**القسم الثاني: الأمارات المتوسطة:** وهي التي ظهرت ولم تنقض بـل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدا.

منها أن تلد الأمة ربتها [4] وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان على ما جاء في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه مسلم وقـد تقـدم في الفصل الأول من هذا الباب وفيه: ﴿ قال فأخبرني عن الساعة ؟ قـال: مـا المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلـد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالـة رعـاء الشاء يتطـاولون في البنيان ﴾ [5] [1] .

---

(1) سورة القمر آية : 1 .

(2) البخاري الفتن (6701) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2902) .

(3) صحيح البخاري برقم (7118) ، وصحيح مسلم برقم (2902) .

(4) أن تلد الأمة ربتها ، الأمة المرأة المملوكة ، وولدها من سيدها بمنزلة سيدها ، لأن مال الإنسان صائر لولده .

(5) مسلم الإيمان (8) ، الترمذي الإيمان (2610) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4990) ، أبو داود السنة (4695) ، ابن ماجه المقدمة (63) ، أحمد (27/1) .

ومنها خروج دجالين ثلاثين يدعون النبوة كما جاء في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ﴾ [2] [3]. وفي سنن أبي داود والترمذي من حديث ثوبان عن النبي ﷺ ﴿ وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ﴾ [4] [5].

ومنها انحسار الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه على ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة تسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو ﴾ [6] [7] وهذه العلامة لم تقع بعد.

**القسم الثالث: العلامات الكبرى:** وهي التي تعقبها الساعة إذا ظهرت. وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء. روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد قال: ﴿ اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر الدخان والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج، وثلاثة

---

(1) صحيح مسلم برقم (8) .

(2) البخاري المناقب (3413) .

(3) رواه البخاري برقم (3609) .

(4) الترمذي الفتن (2219) ، أبو داود الفتن والملاحم (4252) .

(5) سنن أبي داود برقم (4252) ، وسنن الترمذي برقم (2219 ، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح " .

(6) البخاري الفتن (6702) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2894) ، الترمذي صفة الجنة (2569) ، أبو داود الملاحم (4313) ، ابن ماجه الفتن (4046) ، أحمد (332/2) .

(7) رواه مسلم في الصحيح برقم (2894) ، وبنحوه البخاري برقم (7119) وأحمد في المسند 2 / 261 .

خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم﴾ [1] [2] . وجاء في بعض الأحاديث الأخرى ذكر المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض على ما سيأتي ذكر الأحاديث في ذلك.

والذي عليه أكثر المحققين من أهل العلم أن العلامات العشر العظمى هي هذه الثلاث وما ذكر في حديث حذيفة بن أسيد سوى الخسوف فإنها وإن كانت من علامات الساعة بلا شك كما هو نص الحديث إلا أنها تقع قبل العشر العظمى، وهي مقدمة لها، ويشهد لهذا ما جاء في رواية أخرى من حديث حذيفة بن أسيد وقد خرجها مسلم أيضا وفيها تقديم الخسوف في الذكر على غيرها من العلامات حيث قال ﷺ ﴿إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال﴾ [3] .. ) [4] ثم ذكر بقية العلامات. قال القرطبي: (فأول الآيات على ما في هذه الرواية الخسوفات الثلاثة وقد وقع بعضها في زمن النبي ﷺ ذكره ابن وهب... ). وفيما يلي عرض لهذه العلامات العشر مفصلة بأدلتها:

**العلامة الأولى: خروج المهدي:** وهو رجل من أهل البيت من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما يخرج وقد ملئت الأرض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا يوافق اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أب النبي ﷺ على ما روى أبو داود والترمذي من

---

(1) مسلم الفتن وأشراط الساعة (2901) ، الترمذي الفتن (2183) ، أبو داود الملاحم (4311) ، ابن ماجه الفتن (4055) ، أحمد (4/ 7) .

(2) صحيح مسلم برقم (2901) .

(3) مسلم الفتن وأشراط الساعة (2901) ، الترمذي الفتن (2183) ، أبو داود الملاحم (4311) ، ابن ماجه الفتن (4055) ، أحمد (4/ 7) .

(4) صحيح مسلم برقم (2901) .

حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما﴾ (1) (2) .

**العلامة الثانية: ظهور المسيح الدجال:** وهو رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان فيفتن به كثير من الخلق، يجري الله على يديه بعض الأعمال الخارقة، ويدعي الربوبية ولا يروج باطله على المؤمن ويدخل الأمصار كلها إلا مكة والمدينة، ومعه نار وجنة فناره جنة وجنته نار. وقد دلت الأحاديث الصحيحة على خروجه، منها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه﴾ (3) ... ) (4) الحديث. وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: ﴿إني أنذركموه وما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور﴾ (5) (6) .

**العلامة الثالثة: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام** من السماء إلى الأرض حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقضي على الدجال كما دلت على ذلك

---

(1) الترمذي الفتن (2230) ، أبو داود المهدي (4282) .

(2) سنن أبي داود 4 / 306 برقم (4282) ، واللفظ له ، وسنن الترمذي 4 / 505 برقم (2230) ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

(3) مسلم الفتن وأشراط الساعة (2940) ، أحمد (166/2) .

(4) صحيح مسلم برقم (2940) .

(5) البخاري الجهاد والسير (2892) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2931) .

(6) صحيح البخاري برقم (3057) ، وصحيح مسلم برقم (169) ، واللفظ للبخاري .

النصوص من الكتاب والسنة. أما الكتاب فيقـــول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [1] (الزخرف: 61)، وقد استدل بهذه الآية علـــى نـــزول عيسى كثير من المفسرين وينقل هذا عن ابن عباس على ما أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قـــال: ﴿هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة ﴾ [2] [3] . كما دلت على نـــزول عيسى عليه السلام الأحاديث الصحيحة: ففي الصحيحـــين مـــن حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ والـــذي نفســـي بيـــده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنـــزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحـــد، حتى تكـــون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ﴾ [4] [5] .

**العلامة الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج:** وهم خلق كثير لا يدين لأحد بقتالهم قيل إنهم من ولد يافث من ولد نوح عليه السلام وقـــد دل علـــى خروجهم الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [6] (الأنبياء: 96، 97). وأخرج الشيخان عن زينب بنـــت جحش رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها

---

(1) سورة الزخرف آية : 61 .

(2) أحمد (318/1) .

(3) المسند : 1 / 318 .

(4) البخاري أحاديث الأنبياء (3264) ، مسلم الإيمان (155) ، الترمذي الفتن (2233) ، أبو داود الملاحم (4324) ، ابن ماجه الفتن (4078) ، أحمد (483/2) .

(5) صحيح البخاري برقم (2222) ، وصحيح مسلم برقم (155) ، واللفظ لمسلم .

(6) سورة الأنبياء آية : 96 ، 97 .

يوما فزعا يقـــول: ﴿ لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها ﴾ [1] .. " ) [2] الحديث.

**العلامة الخامسة: هدم الكعبة وسلب حليها** على يد ذي السويقتين مـــن الحبشة كما صحت بذلك السنة. فقد أخرج الشيخان مـــن حديـــث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشـــة ﴾ [3] [4] . وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رســـول الله ﷺ يقول: ﴿ يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله ﴾ [5] [6] .

**العلامة السادسة: الدخان:** وهو انبعاث دخان عظيم من السماء يغشى الناس ويعمهم، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. قال تعـــالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ [7] (الدخان: 10، 11). ومن

---

(1) البخاري أحاديث الأنبياء (3168) ، مسلم الفتن؛ وأشراط الساعة (2880) ، الترمذي الفتن (2187) ، ابن ماجه الفتن(3953) أحمد (429/6) .

(2) صحيح البخاري برقم (3346) ، وصحيح مسلم برقم (2880) .

(3) البخاري الحج (1514) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2909) ، النسائي مناسك الحج (2904) ، أحمد (220/2) .

(4) صحيح البخاري برقم (1591) ، وصحيح مسلم برقم (2909) .

(5) البخاري الحج (1514) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2909) ، النسائي مناسك الحج (2904) ، أحمد (220/2) .

(6) المسند : 2 / 220 .

(7) سورة الدخان آية : 10 ، 11 .

السنة حديث حذيفة بن أسيد المتقدم عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخـــان والدجـــال والدابة﴾ [1] [2] الحديث.

**العلامة السابعة: رفع القرآن من الأرض إلى السماء** فلا يبقى منه آيـــة في سطر ولا صدر إلا رفعت. وقد دلت على ذلك السنة فقد أخرج ابـــن ماجه والحاكم من حديث حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿يدرس الإســـلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صـــلاة ولا نســـك، وليسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة فلا يبقى في الأرض منـــه آيـــة﴾ [3] ... ) [4] .

**العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربها.** وقد دلت على هذه الآية النصوص من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [5] (الأنعام: 158). فقد ذهب جمع من المفسرين إلى أن بعض آيات ربك، هي طلوع الشمس من مغربها. قال الطبري بعد ذكره أقوال المفسرين في الآية: (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رســـول الله ﷺ أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها) [6] وروى الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من

---

(1) مسلم الفتن وأشراط الساعة (2901) ، الترمذي الفتن (2183) ، أبو داود الملاحم (4311) ، ابن ماجه الفتن (4055) ، أحمد (7/4) .

(2) صحيح مسلم برقم (2901) .

(3) ابن ماجه الفتن (4049) .

(4) سنن ابن ماجه 2 / 1344 ، برقم (4049) ، والمستدرك للحاكم 4 / 473 وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(5) سورة الأنعام آية : 158 .

(6) تفسير ابن جرير ج8 / 97 .

مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا ﴾ [(1)] [(2)] .

**العلامة التاسعة: خروج الدابة:** وهي مخلوق عظيم قيل إن طولها ستون ذراعًا ذات قوائم ووبر، وقيل هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات وقد دل الكتاب والسنة على خروجها قبل قيام الساعة. قال تعـالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [(3)] (النمل: 82). وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت مـن قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابـة الأرض) [(4)] . وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يغمرون فيكم حتى يشـتري الرجل البعير فيقول ممن اشتريته فيقول: من أحد المخطمين ﴾ [(5)] [(6)] وقد صحـح سند الحديث الهيثمي وغيره من المحدثين.

**العلامة العاشرة: خروج نار عظيمة** تخرج من عدن تحشر النـاس إلى محشرهم وهي آخر العلامات العظام. وقد دلت على هذه العلامة السـنة كـما جاء في حديث حذيفة بن أسيد المتقدم والذي أخرجه مسلم وفيـه: ﴿ وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد

(1) البخاري الرقاق (6141) ، مسلم الإيمان (157) .
(2) صحيح البخاري برقم (4636) ، وصحيح مسلم برقم (157) .
(3) سورة النمل آية : 82 .
(4) صحيح مسلم برقم (158) .
(5) أحمد (268/5) .
(6) المسند : 5 / 268 .

الناس إلى محشرهم ﴾ [1] [2] . وفي رواية مـــن حديث حذيفة ﴿ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس ﴾ [3] .

فهذه الأمارات أعظم أشراط الساعة التي تقع قبل قيامها فإذا انقضـــت قامـــت الساعة بإذن الله تعالى وقد ورد أن هذه الأمارات متتابعـــة كتتـــابع الخرز في النظام فإذا ظهرت إحداها تبعتها الأخرى. روى الطـــبراني في الأوسط عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿خروج الآيات بعضها علـــى إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام ﴾ [4] .

(1) مسلم الفتن وأشراط الساعة (2901) ، الترمذي الفتن (2183) ، أبو داود الملاحم (4311) ، ابن ماجه الفتن (4055) ، أحمد (7/4) .
(2) صحيح مسلم برقم (2901) .
(3) مسلم الفتن وأشراط الساعة (2901) ، الترمذي الفتن (2183) ، أبو داود الملاحم (4311) ، ابن ماجه الفتن (4055) ، أحمد (7/4) .
(4) المعجم الوسيط : 5/ 148 ، برقم (4283) .

## المبحث الثاني

## نعيم القبر وعذابه

وبحث هذا الموضوع يتم من خلال ثلاثة مطالب :

### المطلب الأول: الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك

الإيمان بنعيـــم القبر لأهل الطاعة وبعذاب القبر لمن كان مستحقا له مـــن أهل المعصية والفجور من أصول الإيمان التي دلت عليهـــا نصوص الكـــتـــاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب على نعيم القبر قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [1] (إبراهيم: 27)، فدلت الآية علـــى تثبيت الله تعالى للمؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من النعيـــم. أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمـــدا رسول الله فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [2] » [3] . ودليل عذاب القبر من القرآن قول الله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦ ﴾ [4] (غافر: 45، 46)، قال القرطبي: (الجمهور علـــى أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القـــبر). وقـــال

---

(1) سورة إبراهيم آية : 27 .

(2) سورة إبراهيم آية : 27 .

(3) صحيح البخاري برقم (1369) .

(4) سورة غافر آية : 45 ، 46 .

الحافظ ابن كثير: (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور) [1] .

كما دل على عذاب القبر من القرآن أيضا قوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [2] (التوبة: 101)، فقد استدل بها كثير من السلف على عذاب القبر، فعن مجاهد أنه قال في تفسير الآية: (بالجوع وعذاب القبر، قال: " ثم يردون إلى عذاب عظيم " يوم القيامة). وعن قتادة قال: (عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم)، وقد استدل بهذه الآية والتي قبلها على عذاب القبر الإمام البخاري في ترجمته للأحاديث في عذاب القبر [3] .

وأما ما جاء في السنة من الأدلة على نعيم القبر وعذابه فكثير جدا من ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ﴾ [4] [5] . وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ﴾ [6] [7] . والأدلة على هذا

(1) تفسير ابن كثير ج7 / 136 .

(2) سورة التوبة آية : 101 .

(3) صحيح البخاري باب ما جاء في عذاب القبر ، فتح الباري (3 / 231) .

(4) البخاري الجنائز (1313) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2866) ، الترمذي الجنائز (1072) ، النسائي الجنائز (2070) ، ابن ماجه الزهد (4270) ، أحمد (113/2) ، مالك الجنائز (564) .

(5) صحيح البخاري برقم (1379) ، وصحيح مسلم برقم (2866) .

(6) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2868) ، النسائي الجنائز (2058) ، أحمد (175/3) .

(7) صحيح مسلم برقم (2868) .

كثيرة من الكتـــاب والسنة وقد ذكرت ما يستدل به في إثبات عذاب القبر ونعيمه، والله أعلم.

## المطلب الثاني: وقوع نعيم القبر وعذابه على الروح والجسد معا

نعيم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جميعا، فتنعم الروح أو تعـــذب متصلة بالبدن فيكون النعيم والعذاب عليهما جميعا كما أنه قد تنعم الـــروح أو تعذب أحيانا منفصلة عن البدن، فيكون النعيم أو العذاب للروح منفـــردا عن البدن. وقد دلت على هذا النصوص وعليه اتفق أهل السنة والجماعـــة، خلافا لمن زعم أن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح فقط على كل حـــال ولا يتعلق بالبدن.

فمن الأدلة على ذلك حديث أنس بن مالك الذي أخرجه البخـــاري أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنـــه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقـــول في هـــذا الرجل ( لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم) فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال لـــه انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعـــا. وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجـــل ؟ فيقـــول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضـــرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ﴾ [1] [2] .

وفي حديث الـــبراء بن عازب الطويل الذي أخرجه أحمـــد وأبـــو داود والحاكـــم وغيرهم مرفوعا للنبي ﷺ قال بعد أن ذكر خـــروج الـــروح وصعود روح المؤمن إلى السماء: ﴿فتعاد روحه في جسده فيأتيـــه ملكـــان فيجلسانه فيقولان له من ربك ﴾ [3] [1] الحديث، وقد صحـــح هـــذا الحديـــث الحاكـــم وغيره.

---

(1) البخاري الجنائز (1308) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2870) ، النسائي الجنائز (2051) ، أبو داود السنة (4751) ، أحمد (126/3) .

(2) صحيح البخاري برقم (1338) .

(3) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2871) ، الترمذي تفسير القرآن (3120) ، النسائي الجنائز (2057) ، أبو داود السنة (4753) ، ابن ماجه الزهد (4269) ، أحمد (288/4) .

فدل الحديثان على وقوع النعيم أو العذاب في القبر على الروح والجسد جميعا ففي قول النبي ﷺ ﴿ إن العبد إذا وضع في القبر ﴾ [2] دلالة ظاهرة على هذا إذ لفظ (العبد) مسمى للروح والجسد جميعا، وكذلك تصريحه بإعادة الروح إلى الجسد عند السؤال كما في حديث البراء بن عازب هذا مع ما جاء في الحديثين من الألفاظ التي هي من صفات الجسد كقوله: ﴿ يسمع قرع نعالهم ﴾ [3] (فيقعدانه)، ﴿ ويضرب بمطارق من حديد ﴾ [4] ﴿ فيصيح صيحة ﴾ [5] ، فإن هذا كله يفيد أن ما يحصل في القبر من النعيم أو العذاب متعلق بالروح والجسد جميعهما.

هذا مع أنه قد جاء في بعض النصوص ما يفيد أن النعيم أو العذاب قد يقع على الروح منفردة في بعض الأحوال على ما جاء في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لما أصيب إخوانكم يعني يوم أحد - جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ﴾ [6] [7] .

فتلخص من هذا أن النعيم والعذاب يقع على الروح والجسد جميعا في القبر وقد تنفرد الروح بهذا أحيانا. قال بعض الأئمة المحققين في السنة في تقرير هذه المسألة: (والعذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم

(1) مسند الإمام أحمد 4/ 287 ، وسنن أبي داود 5/ 75 برقم (4753) ، والمستدرك : 1/ 37- 38 .
(2) الترمذي الجنائز (1046) ، أبو داود الجنائز (3213) ، أحمد (27/2) .
(3) البخاري الجنائز (1273) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2870) ، النسائي الجنائز (2051) ، أبو داود الجنائز (3231) ، أحمد (126/3) .
(4) البخاري الجنائز (1308) ، النسائي الجنائز (2051) ، أبو داود السنة (4751) ، أحمد (126/3) .
(5) البخاري الجنائز (1273) ، النسائي الجنائز (2051) ، أبو داود السنة (4751) ، أحمد (126/3) .
(6) أبو داود الجهاد (2520) ، أحمد (266/1) .
(7) أخرجه أحمد في المسند 1 / 266 ، والحاكم في المستدرك 2 / 88 ، 297 ، وصححه ووافقه الذهبي .

النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بـــالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتـــين كما يكون للروح منفردة عن البدن).

## المطلب الثالث: الإيمان بالملكين منكر ونكير

تقدم في مبحث الملائكة ذكر منكر ونكير وأنهما الملكـــان الموكـــلان بسؤال الميت في قبره في معرض الحديث عن وظائف الملائكة. والقصد هنـــا تقرير الإيمان بهما إيمانا مفصلا وما يحصل منهما من فتنة المقبورين إذ تقريـــر هذا هنا فرع عن الإيمان بنعيم القبر وعذابه في الجملة.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على وصف هذين الملكين وسؤالهما أهل القبور بعد الدفن كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن حبـــان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إذا قـــبر الميـــت أو قـــال أحدكـــم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكـــير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: ما كان يقول هو عبـــد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذرعا في ســـبعين..، وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري: فيقولان: قـــد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلـــف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ﴾ [1] [2] . وقـــد دل على سؤال الملكين أيضا حديث أنس المتقدم في المطلب السابق.

فيجب الإيمان بما دلت عليه الأحاديث من اســـم الملكـــين ووصفـــهما وسؤالهما المقبورين وكيفية ذلك وما يجيب به المؤمن وما يجيب به المنـــافق وما يعقب ذلك من النعيم أو العذاب على التفصيل الـــذي جـــاءت بـــه الأحاديث.

وقد اختلف العلماء هل السؤال في القبر خاص بهذه الأمة كما ذهـــب لذلك البعض أم أنه عام في كل الأمم كما هو قول فريق آخر مـــن أهـــل العلم، والذي يظهر من

---

(1) الترمذي الجنائز (1071) .

(2) سنن الترمذي 3 / 383 ، برقم (1071) ، وقال حديث حسن غريب والإحسان في تقرير ب صحيح ابن حبان : 7 / 386 ، برقم (3117) .

النصوص عدم اختصاص هذه الأمة به بل هو عـــام في كل الأمم وعلى هذا أكثر المحققين من أهل العلم والله تعالى أعلم.

## المبحث الثالث

## الإيمان بالبعث

الإيمان بالبعث من أعظم أصول الإيمان في هذا الدين وهو مشتمل علـــى جوانب متعددة مما دلت عليه النصوص في هذا الباب، وسيكون بحثه هنـــا من خلال عدة مطالب تجلي حقيقته وتبرز أهمية الإيمان به وما يجب علـــى المؤمن أن يؤمن به من أحواله وأحداثه:

### المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته

البعث في كلام العرب يأتي على وجهين:

أحدهما: الإرســـال، ومنـــه قولـــه تعـــالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾ [1] (الأعراف: 103)، أي: أرسلنا.

والثـــاني: الإثارة والتحريك، تقول بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثـــار، ومنـــه بعث الموتى وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم. قال تعـــالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [2] ... الآية (البقرة: 56) أي: أحييناكـــم.

والبعث في الشرع: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم.

وحقيقة البعث: أن الله تعالى يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدهـــا بقدرته كـــما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشـــرهم لفصـــل القضاء. قال تعالى:

(1) سورة الأعراف آية : 103 .

(2) سورة البقرة آية : 56 .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ [1] (يس: 78، 79).

وعن حذيفة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن رجلًا حضره المـــوت لما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا ثم أوروا نارًا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فـــذروني في اليم في يوم حار أو راح فجمعه الله فقال: لم فعلت ؟ قال: خشيتك، فغفـــر له ﴾ [2] [3] .

فدلـــت الآية والأحاديث على أن الله تعالى يعيد الأجساد نفسها ويجمـــع رفاهًا المتحلل حتى تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها فسبحان مـــن لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير.

وقد جاء في السنة بيان كيفية البعث وأن الله يترل إلى الأرض مـــاءً فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب وقد دل على ذلـــك حديـــث أبي هريرة الذي أخرجه الشيخان ﴿ أن رسول الله ﷺ قال: (ما بـــين النفختـــين أربعون) قال: أربعون يومًا. قال: أبَيْت، قال: أربعون شهرًا ؟ قال: أبيـــت، قال: أربعون سنة ؟ قال: أبيت، قال: (ثم ينـــزل الله من السماء ماء فينبتـــون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهـــو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ﴾ [4] [5] . فقد دل هذا الحديث على كيفية البعث وأن أهل القبور يبقون في قبورهم أربعين بين النفختين وهمـــا نفخة الإماتة ونفخة البعث و لم يجزم الراوي بتحديد الأربعين ما هي وهـــل المراد

---

(1) سورة يس آية : 78 ، 79 .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (3292) ، النسائي الجنائز (2080) .

(3) صحيح البخاري برقم (3479) .

(4) البخاري تفسير القرآن (4651) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (2955) ، النسائي الجنائز (2077) ، أبو داود السنة (4743) ، ابن ماجه الزهد (4266) ، أحمد (315/2) ، مالك الجنائز (565) .

(5) صحيح البخاري برقم (4935) ، وصحيح مسلم برقم (2955) .

أربعون يومًا أو شهرًا أو سنة على أنه جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة. ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطرًا من السماء. جاء في بعض الروايات أنه مثل مني الرجال فينبت أهل القبور من ذلك الماء كما ينبت العشب بعد أن فتت أجسادهم إلا عجب الذنب وهذا بخلاف الأنبياء فإن أجسادهم لا تبلى كما تقدم تقريره فتبين بهذا حقيقة البعث ووقته وكيفيته والله أعلم.

## المطلب الثاني: أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر

دَلّ الكتابُ والسنة على بعث الله تعالى للأموات وجاء تقريره في مواطن كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] (البقرة: 56)، وقوله ﷻ ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2] (لقمان: 28)، وقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [3] (التغابن: 7).

ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله قال: ثم ينفخ فيه مرة أخرى فأكون أول من بعث أو في أول من بعث فإذا موسى آخذ بالعرش ﴾ [4] .. ) [5] . وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الصحيحين:

---

(1) سورة البقرة آية : 56 .

(2) سورة لقمان آية : 28 .

(3) سورة التغابن آية : 7 .

(4) البخاري أحاديث الأنبياء (3233) ، مسلم الفضائل (2373) ، الترمذي تفسير القرآن (3245) ، أبو داود السنة (4671) ، أحمد (264/2) .

(5) صحيح البخاري برقم (3414) ، وصحيح مسلم برقم (2373) ، وغيرهما .

﴿ فـــأكون أول مـــن تنشـــق عنـــه الأرض ﴾ [1] [2]. فدل الحديثان على بعث الله تعالى للأموات يوم القيامـــة مـــن قبـــورهم إلى أرض المحشـــر وفيهمـــا فضيلـــة للنبي ﷺ لكونه أول مـــن يبعث.

كما دل النظر الصحيح على تقرير البعث وذلك أن البعث هو إعـــادة للخلق ومعلوم لكل عاقل أن الإعادة للشيء أهون من إنشائه وابتدائه ولهـــذا قال الله تعالى في كتابه مقررًا للبعث ووقوعه بإبداء خلق الإنسان ونشـــأته الأولى وبأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة من بـــاب أولى، فقال المعترض على البعث كما حكى الله عنه: ﴿ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ ﴾ [3] (يس: 78)، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ ﴾ [4] (يس: 79)، وقال تعـــالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾ [5] (الروم: 27). فهذا دليل شرعي عقلـــي من كتاب الله للرد على كل معاند مكذب بالبعث، وهو دليل لا يســـتطيع رده.

## المطلب الثالث: الحشر

دلت النصوص على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحشر حفاة عـــراة غرلا قال تعالى: ﴿ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ [6] (الكهف: 47)، وقـــال تعالى: ﴿

(1) البخاري الخصومات (2281) .
(2) صحيح البخاري برقم (2412) ، وصحيح مسلم برقم (2278) .
(3) سورة يس آية : 78 .
(4) سورة يس آية : 79 .
(5) سورة الروم آية : 27 .
(6) سورة الكهف آية : 47 .

يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [1] (إبراهيم: 48).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلا [2] ) قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال ﷺ (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض ﴾ [3] .

وهذا الحشر عام لجميع الخلائق. وقد دلت النصوص أن هناك حشرا آخر إما في الجنة وإما في النار فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفدا والوفد هم القائمون الركبان. قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ [4] (مريم: 85).

أخرج الطبري عن علي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ [5] قال: (أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة) [6] . وأما الكفار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عميا وبكما وصما. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ

---

(1) سورة إبراهيم آية : 48 .

(2) غرلا : غير مختونين .

(3) متفق عليه : صحيح البخاري برقم (6527) ، وصحيح مسلم برقم (2859) .

(4) سورة مريم آية : 85 .

(5) سورة مريم آية : 85 .

(6) تفسير الطبري (8 / 380) .

مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] (الفرقان: 34). قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [2] (الإسراء: 97).

## المطلب الرابع: الحوض، صفته وأدلته

الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ في المحشر يرده هو وأمتــه. جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلـــى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطولـــه سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعـــدد نجوم السماء.

وقد دل على ثبوت الحوض وأنه حق كثير من الأحاديث الصحيحة ذكر بعض المحققين أنها تبلغ حد التواتر ورواها عن النبي ﷺ بضعة وثلاثـــون صحابيًّا. منها حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قـــال: ﴿ إن قـــدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجـــوم السماء ﴾ [3] [4] . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قـــال رســـول الله ﷺ ﴿ حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب مـــن المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبدًا ﴾ [5] [6] .

---

(1) سورة الفرقان آية : 34 .

(2) سورة الإسراء آية : 97 .

(3) البخاري الرقاق (6209) ، مسلم الفضائل (2303) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2442) ، ابن ماجه الزهد (4304) ، أحمد (230/3) .

(4) متفق عليه ، صحيح البخاري برقم (6580) ، وصحيح مسلم برقم (2303) .

(5) البخاري الرقاق (6208) ، أحمد (2/ 163) .

(6) متفق عليه ، صحيح البخاري برقم (6579) ، وصحيح مسلم برقم (2292) .

والحوض يكون في أرض المحشر ويمد ماؤه من الكوثر وهو نهر آخر أعطاه الله لنبينا ﷺ في الجنة قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ [1] (الكوثر: 1). وقد اختلف أهل العلم في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر فقيل الميزان قبل، وقيل: الحوض. والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم.

## المطلب الخامس: الميزان صفته وأدلته

مما يجب الإيمان به في أحداث اليوم الآخر: الميزان. وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجح بمثقال ذرة من خير أو شر، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان.

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [2] .. الآية (الأنبياء: 47)، وقال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝ ﴾ [3] (القَارعة: 6-9). وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» [4] [5] .

وروى الإمام أحمد والحاكم وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه «أنه تسلق أراكة وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه (أي تحركه) فضحك القوم فقال رسول الله ﷺ (مم

---

(1) سورة الكوثر آية : 1 .

(2) سورة الأنبياء آية : 47 .

(3) سورة القارعة آية : 6 - 9 .

(4) البخاري التوحيد (7124) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2694) ، الترمذي الدعوات (3467) ، ابن ماجه الأدب (3806) ، أحمد (232/2) .

(5) صحيح البخاري برقم (7563) ، وصحيح مسلم برقم (2694) .

تضحكون ؟ ) قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه. فقال: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان مـــن أحد) ﴾ [1] [2] صححه الحاكـــم ووافقه الذهبي.

والذي يوزن في الميزان ثلاثة، وقد دلت على ذلك النصوص:

1 - الأعمال، فقد ثبت أنها تجسم وتوزن في الميزان ودل عليه حديـــث أبي هريرة السابق: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن... ) الحديث.

2 - صحف الأعمال، وقد دل على ذلك حديث عبد الله بن عمـــرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن الله سيخلص رجلا من أمتي علـــى رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل ســـجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحـــافظون ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة ؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلـــم عليـــك اليوم فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رســـول الله، فيقول: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ [3] [4] .

3 - العامل نفسه، وقد دل على وزنه قوله تعـــالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [5] (الكهف: 105)، وكذلك حديث عبد الله بـــن مســـعود السابق وأن ساقيه في الميزان أثقل من أحد.

(1) أحمد (421/1) .

(2) مسند الإمام أحمد 1 / 420- 421 ، والمستدرك 3 / 317 .

(3) الترمذي الإيمان (2639) ، ابن ماجه الزهد (4300) ، أحمد (213/2) .

(4) أخرجه أحمد في المسند 2 / 213 وقوله (بسم الله) أي مع اسم الله ، والترمذي في السنن 5 / 24-25 ، برقم (2639) والحاكم في المستدرك 1/ 6 ، 529 وصححه ووافقه الذهبي .

(5) سورة الكهف آية : 105 .

## المطلب السادس: الشفاعة، تعريفها وأنواعها وأدلتها

الشفاعة في اللغة: الوسيلة والطلب. وفي العرف: سؤال الخير للغير.

والشفاعة عند اللهّ: سؤال الله التجاوز عن الذنوب والآثام للغير.

وحقيقتها أن الله تعالى بلطفه وكرمه يأذن يوم القيامة لبعض الصالحين من خلقه من الملائكة والمرسلين والمؤمنين أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب من أهل التوحيد إظهارًا لكرامة الشافعين عنده ورحمة بالمشفوع فيهم.

ولا تصح الشفاعة عند الله تعالى إلا بشرطين:

**أحدهما**: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [1] (البقرة: 255). وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ﴾ [2] (سبأ: 23).

**الثاني**: رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [3] (الأنبياء: 28). وقد دلت النصوص أن الله لا يرضى أن يشفع إلا في أهل التوحيد لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا» [4] [1]. وقال تعالى في الكفار: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ۝٤٨ ﴾ [2] (المدثر: 48).

---

(1) سورة البقرة آية : 255 .

(2) سورة سبأ آية : 23 .

(3) سورة الأنبياء آية : 28 .

(4) البخاري الدعوات (5945) ، مسلم الإيمان (199) ، الترمذي الدعوات (3602) ، ابن ماجه الزهد (4307) ، أحمد (426/2) ، مالك النداء للصلاة (492) ، الدارمي الرقاق (2805) .

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الشفاعة عند الله يـــوم القيامة. أما الكتاب فقد تقدم ذكر بعضها، وأما من السنة فالأحـــاديث في إثبات الشفاعة كثيرة منها حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رســـول الله ﷺ قال (.. ﴿فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيـــون وشـــفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط﴾ [3] [4].

والأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جدًّا وقد صرح الأئمـــة المحققـــون بتواترها واشتهارها في كتب الصحاح والمسانيد. ففي الصحيحين: ﴿يُخـــرج من النار من كان في قلبه حبة من خردل من إيمان﴾ [5] [6] .

**أقسام الشفاعة:**

والشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين: مردودة وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة، ومقبولة وهي ما تحققت فيها شـــروط الشفاعة. وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع، وهي:

1 - الشفاعة العظمى وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم وهي المقام المحمود وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا ﷺ على غيره مـــن الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

2 - شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلـــوا الجنة.

3 - شفاعته في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها.

---

(1) صحيح مسلم برقم (199) .
(2) سورة المدثر آية : 48 .
(3) مسلم الإيمان (183) .
(4) رواه الإمام أحمد في المسند 3 / 94 ، وعبد الرزاق في المصنف 11 / 410 برقم (20857) .
(5) البخاري الإيمان (22) ، مسلم الإيمان (184) .
(6) صحيح البخاري برقم (7439) ، في حديث طويل ، وصحيح مسلم برقم (184) .

4 - شفاعته ﷺ رفع درجات أهل الجنة في الجنة.

5 - شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

6 - شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب.

7 - شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة.

8 - شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها.

وقد دلت النصوص الصحيحة على هذه الأنواع كلها وهي مبسوطة في مواضعها من كتب السنة والاعتقاد. وهذه الأنواع منها ما هو خاص بالنبي ﷺ كالشفاعة العظمى وشفاعته في عمه أبي طالب وشفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها ومنها ما يشاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين كالشفاعة في أهل الكبائر وغيرها من الأنواع الأخرى على اختلاف بين أهل العلم في اختصاصه ببعضها من عدمه، والله تعالى أعلم.

## المطلب السابع: الصراط، صفته وأدلته

الصراط في اللغة: الطريق الواضح.

وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة. وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الصراط.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [1] (مريم: 71، 72) ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط وهو منقول عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم.

---

(1) سورة مريم آية : 71 ، 72 .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وهو حديث طويل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (.. ﴿ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق، وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم يمر آخرهم يسحب سحبا﴾ [1] [2] .

وقد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة وملخص ما جاء فيها أنه أدق من الشعر وأحد من السيف دحض مزلة لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله وأنه ينصب في ظلمة فيعطى الناس أنوارا على قدر إيماهم ويمرون فوقه على قدر إيماهم على ما جاء في الحديث السابق.

### المطلب الثامن: الجنة والنار، صفتهما وكيفية الإيمان بهما وأدلة ذلك

مما يجب اعتقاده والإيمان به الجنة والنار.

**والجنة** هي دار الثواب لمن أطاع الله وموضعها في السماء السابعة عند سدرة المنتهى. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [3] (النجم: 13-15)، والجنة مائة درجة بين كل درجة والأخرى كما بين السماء والأرض كما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين

---

(1) البخاري التوحيد (7002) ، مسلم الإيمان (183) .

(2) صحيح البخاري برقم (7439) ، وصحيح مسلم برقم (183) ، واللفظ للبخاري .

(3) سورة النجم آية : 13 - 15 .

الدرجتين كما بـــين الســـماء والأرض﴾ [1] [2] . وأعلى الجنة الفردوس الأعلى وفوقه العرش ومنه تتفجر أنهـــار الجنة كما جاء في حديث أبي هريرة السابق عن النبي ﷺ قال: ﴿فإذا ســـألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنـــه تفجر أنهار الجنة﴾ [3] . وللجنة ثمانية أبواب كما جاء في حديث سهل بن ســـعد رضي الله عنه في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿في الجنة ثمانية أبواب فيـــها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون﴾ [4] [5] وقد أعد الله لأهل الجنة فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

**وأما النار** فهي دار العقاب الأبدي للكافرين والمشركين والمنافقين النفاق الاعتقادي، ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهـــم ثم مـــآلهم إلى الجنة. كـــما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [6] (النساء: 48) وموضعها في الأرض السابعة كذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما. وللنار دركات بعضها أسفل من بعض، قال عبد الرحمـــن بـــن أسلم: ( درجات الجنة تذهب علوا ودرجات النار تذهب سفولا، وأســـفل الدركات هي دار المنافقين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [7] ... الآية (النساء: 145)، وللنار سبعة

---

(1) البخاري الجهاد والسير (2637) ، أحمد (335/2) .

(2) صحيح البخاري برقم (2790) .

(3) البخاري التوحيد (6987) ، أحمد (335/2) .

(4) البخاري بدء الخلق (3084) ، مسلم الصيام (1152) ، الترمذي الصوم (765) ، النسائي الصيام (2236) ، ابن ماجه الصيام (1640) ، أحمد (335/5) .

(5) صحيح البخاري برقم (3257) .

(6) سورة النساء آية : 48 .

(7) سورة النساء آية : 145 .

أبواب، قال تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [1] (الحجر: 44)، ونار الدنيا جـــزء مـــن سبعين جزءا من نار جهنم على ما جاء في حديث أبي هريرة الذيَ أخرجــه الشيخان عن النبي ﷺ قال: ﴿ناركـــم جزء من سبعين جـــزءا مـــن نـــار جهنم﴾ [2] [3].

**والإيمان بالجنة والنار يتحقق بثلاثة أمور:**

**الأول:** الاعتقاد الجازم بأنهما حق وأن الجنة دار المتقـــين والنـــار دار الكافرين والمنافقين. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ ﴾ [4] (النساء: 56، 57).

**الثاني:** اعتقاد وجودهما الآن. قال تعالى في الجنـــة. ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [5] (آل عمران: 133)، وقال تعالى في النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [6] (البقرة: 24)، وجاء في الصحيحين من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ

---

(1) سورة الحجر آية : 44 .

(2) البخاري بدء الخلق (3092) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2843) ، الترمذي صفة جهنم (2589) ، أحمد (313/2) ، مالك الجامع (1872) ، الدارمي الرقاق (2847) .

(3) صحيح البخاري برقم (3265) ، وصحيح مسلم برقم (871) .

(4) سورة النساء آية : 56 ، 57 .

(5) سورة آل عمران آية : 133 .

(6) سورة البقرة آية : 24 .

أنه قال: ﴿اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكــثر أهلـــها النساء﴾ [1] [2] .

**الثالث**: اعتقاد دوامهما وبقائهما وأنهما لا تفنيان ولا يفنى من فيـــهما. قال تعالى في الجنة: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [3] (النساء: 13)، وقال تعالى عن النار: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [4] (الجن: 23). والمقصود من المعصية هنا الكفر، لتأكيد الخلود في النـــار بالتأبيد، قال القرطبي قوله (أبدا) دليل على أن العصيان هنا هو الشـــرك [5] . وروى الشيخان من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رســـول الله ﷺ قال: ﴿يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينـــهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيمـــا هـــو فيه﴾ [6] [7] .

### ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها:

1- الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم والبعد عن معصيتـــه خوفا من عقاب ذلك اليوم.

---

(1) البخاري بدء الخلق (3069) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2738) ، الترمذي صفة جهنم (2603) ، أحمد (437/4) .

(2) صحيح البخاري برقم (3241) ، وصحيح مسلم برقم (2738) مختصرا بمعناه ، واللفظ للبخاري .

(3) سورة التوبة آية : 89 .

(4) سورة الجن آية : 23 .

(5) القرطبي 19 / 27 ، وفتح القدير 5 / 307 .

(6) البخاري الرقاق (6178) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2850) .

(7) صحيح البخاري برقم (6544) ، وصحيح مسلم برقم (2850) ، واللفظ لمسلم .

2- تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه مـــن نعيـــم الآخرة وثوابها.

3- استشعار كمال عدل الله تعالى حيث يجازي كلا بعمله مـــع رحمتـــه بعباده.

# الفصل الخامس

## الإيمان بالقضاء والقدر ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما مع بيان الفرق بينهما.

المبحث الثاني: مراتب القدر.

## المبحث الأول

## تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما

## مع بيان الفرق بينهما

### تعريف القضاء والقدر:

القضاء لغة: الحكـــم والفصل.

وشرعا: هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعـــدام أو تغيير.

والقدر: مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره.

والقدر في الشرع: هو ما قدره الله تعالى في الأزل، أن يكون في خلقـــه بناء على علمه السابق بذلك.

### الفرق بين القضاء والقدر:

ذكر العلماء في التفريق بين القضاء والقدر. أن القدر: هو تقدير لشـــيء قبل قضائه. والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد التي ذكرها أبـــو حـــاتم للتفريق بين القضاء والقدر أن القدر منـــزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاتـــه التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقا للقضاء. قال ابن الأثير: (فالقضـــاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمترلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنـــزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصـــل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه).

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منـــهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر. ذكر ذلـــك بعض أهل العلم.

### الأدلة على إثبات القدر:

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان وقد دلت الأدلة مـــن الكتـــاب والسنة على إثباته وتقريره.

فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [1] (القمر: 49)، وقوله تعالى ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [2] (الأحزاب: 38) وقوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [3] (الفرقان: 2).

وأما السنة فقد دلت كذلك على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن أركان الإيمان فذكر منها: ﴿ الإيمان بالقدر خيره وشره ﴾ [4] وقدم تقدم الحديث بنصه في مبحث الملائكة. وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وقال: وكان عرشه على الماء ﴾ [5] [6] .

والإيمان بالقدر محل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم. أخرج مسلم في صحيحه عن طاوس أنه قال: (أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر). قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ ﴿ كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز ﴾ [7] [8] والكيس: ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمور.

---

(1) سورة القمر آية : 49 .

(2) سورة الأحزاب آية : 38 .

(3) سورة الفرقان آية : 2 .

(4) مسلم الإيمان (8) ، الترمذي الإيمان (2610) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4990) ، أبو داود السنة (4695) ، ابن ماجه المقدمة (63) ، أحمد (28/1) .

(5) مسلم القدر (2653) ، الترمذي القدر (2156) ، أحمد (169/2) .

(6) صحيح مسلم برقم (2653) .

(7) مسلم القدر (2655) ، أحمد (110/2) ، مالك الجامع (1663) .

(8) صحيح مسلم برقم (2655) .

قال الإمام النووي: (تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى).

## المبحث الثاني

## مراتب القدر

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم. وهي:

**المرتبة الأولى:** علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴾[1] (الطلاق: 12).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين ﴾[2] [3].

**المرتبة الثانية:** كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[4] (الحج: 70). وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[5] ( يس: 12). ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم في كتابة الله مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

---

(1) سورة الطلاق آية : 12 .

(2) البخاري القدر (6224) ، مسلم القدر (2660) ، النسائي الجنائز (1951) ، أبو داود السنة (4711) ، أحمد (358/1) .

(3) صحيح البخاري برقم (1384) ، وصحيح مسلم برقم (2659) .

(4) سورة الحج آية : 70 .

(5) سورة يس آية : 12 .

**المرتبة الثالثة:** المشيئة فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [1] (يس: 82). وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2] (التكوير: 29). وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت! اللهم ارحمني إن شئت! ليعزم في الدعاء فإن الله صانع ما شاء لا مكره له ﴾ [3] [4].

**المرتبة الرابعة:** خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة على ذلك فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [5] (الزمر:62). وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [6] (الصافات: 96). وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ: ﴿ كان الله و لم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض ﴾ [7] [8].

---

(1) سورة يس آية : 82 .

(2) سورة التكوير آية : 29 .

(3) البخاري التوحيد (7039) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2679) ، الترمذي الدعوات (3497) ، أبو داود الصلاة (1483) ، ابن ماجه الدعاء (3854) ، أحمد (458/2) ، مالك النداء للصلاة (494) .

(4) صحيح البخاري برقم (6339) ، وصحيح مسلم برقم (2679) ، واللفظ لمسلم .

(5) سورة الزمر آية : 62 .

(6) سورة الصافات آية : 96 .

(7) البخاري بدء الخلق (3020) .

(8) صحيح البخاري برقم (3191) .

فيجب الإيمان بهذه المراتب الأربع لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئًا منها لم يحقق الإيمان بالقدر. والله تعالى أعلم.

**ثمرات الإيمان بالقدر:**

لتحقيق الإيمان بالقدر أثره البالغ وثمراته النافعة في حياة المؤمـــن فمـــن ذلك:

1 - الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنـــه مقـــدر الأســـباب والمسببات.

2 - راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضـــاء الله وقدره.

3- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة مـــن الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجـــاح فيشـــكر الله ويـــدع الإعجاب.

4- طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكـــروه لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب.

# الباب الثالث

# مسائل متفرقة في العقيدة

ويتضمن خمسة فصول:

الفصل الأول: الإسلام والإيمان والإحسان.

الفصل الثاني: الولاء والبراء، معناه وضوابطه.

الفصل الثالث: حقوق الصحابة وما يجب نحوهم.

الفصل الرابع: الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم ولزوم جماعتهم.

الفصل الخامس: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والنهي عن التفرق.

# الفصل الأول:

## الإسلام والإيمان والإحسان.

المبحث الأول: الإسلام.

المبحث الثاني: الإيمان.

المبحث الثالث: الإحسان.

المبحث الرابع: العلاقة بين الإسلام، والإيمان والإحسان.

## المبحث الأول: الإسلام

### تعريف الإسلام:

الإسلام لغة: الانقياد والاستسلام والخضوع.

وشرعا: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ومعاداة أهله. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [1] (الأنعام: 162، 163). وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [2] (آل عمران: 85).

### أركان الإسلام:

أركان الإسلام خمسة بينها رسول الله ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله ﴾ [3] [4] .

ويدل على هذا حديث جبريل المتقدم وفيه أنه قال: ﴿ يا محمد ! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت ﴾ [5] ... إلخ) [1] .

---

(1) سورة الأنعام آية : 162 ، 163 .

(2) سورة آل عمران آية : 85 .

(3) البخاري الإيمان (8) ، مسلم الإيمان (16) ، الترمذي الإيمان (2609) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5001) ، أحمد (93/2) .

(4) صحيح البخاري ، حديث برقم (8) ، وصحيح مسلم حديث برقم (16) .

(5) البخاري تفسير القرآن (4499) ، مسلم الإيمان (10) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4991) ، ابن ماجه المقدمة (64) ، أحمد (426/2) .

**معنى الشهادتين:**

*معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله.

*ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر به واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

(1) تقدم متفق عليه : صحيح البخاري حديث برقم (8) ، وصحيح مسلم حديث برقم (8) .

## المبحث الثاني: الإيمان وأركانه
## وبيان حكم مرتكب الكبيرة

**تعريفه:**

الإيمان لغة: التصديق والإقرار.

وشرعًا: اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

**أركانه وأدلته:**

أركان الإيمان ستة يدل عليها قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [1] (البقرة: 177).

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عندما سأل النبي ﷺ وقال: ﴿أخبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت﴾ [2] ... إلخ) [3] .

**زيادة الإيمان ونقصانه:**

دل الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فالدليل من الكتاب قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [4] (محمد: 17). وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [1] (الأنفال: 2).

---

(1) سورة البقرة آية : 177 .

(2) البخاري تفسير القرآن (4499) ، مسلم الإيمان (10) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4991) ، ابن ماجه المقدمة (64) ، أحمد (426/2) .

(3) متفق عليه : صحيح البخاري حديث برقم (50) ، وصحيح مسلم حديث برقم (8) .

(4) سورة محمد آية : 17 .

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [2] (الفتح: 4).

ومن السنة قوله ﷺ ﴿يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان﴾ [3] [4] . وكذلك قوله ﷺ ﴿الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان﴾ [5] [6] .

## حكم مرتكب الكبيرة:

كبائر الذنوب نوعان: مكفّر وغير مكفر. فأما المكفر فهو الشرك بالله لأنه أعظم ذنبا عُصي به الله والنفاق الاعتقادي وسب الله ورسوله ونحو ذلك.

والنوع الثاني كبائر غير مكفّرة ولا يخرج مرتكبها من الملة إلا إذا استحلها. وهي سائر الذنوب التي دون الكفر كالربا والقتل والزنا ونحو ذلك.

وقد دل الكتاب والسنة على أن مرتكب الكبيرة غير المكفّرة مؤمن ناقص الإيمان، ويسمى فاسقًا وعاصيًا.

وحكمه في الآخرة أنه تحت المشيئة فإن شاء الله غفر له برحمته وإن شاء عذبه بعدله وهو مع هذا لا يخلد في النار إذا عُذب بل مآله إلى الجنة بما معه من التوحيد والإيمان. قال

---

(1) سورة الأنفال آية : 2 .

(2) سورة الفتح آية : 4 .

(3) البخاري التوحيد (7002) ، مسلم الإيمان (183) .

(4) صحيح البخاري حديث برقم (7510) ، صحيح مسلم حديث برقم (193) .

(5) مسلم الإيمان (35) ، الترمذي الإيمان (2614) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5005) ، أبو داود السنة (4676) ، ابن ماجه المقدمة (57) ، أحمد (414/2) .

(6) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (57) .

تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [1] (النساء: 116).

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير ﴾ [2] [3].

وهذا الذي دلت عليه النصوص هنا هو الذي عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم على الخير والهدى في حكم مرتكب الكبيرة وهو المنهج الوسط بين الغلو في هذا الباب وهو مذهب الخوارج قديمًا وحديثًا الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ويخرجونه من الملة ويستبيحون دمه ويعتقدون أنه يوم القيامة خالد مخلد في النار، وبين أهل التقصير الذين يرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ولا يفرقون بين مرتكب الكبيرة وبين المؤمن الكامل الذي أدى الطاعات وتجنب المحرمات كما هو مذهب غلاة المرجئة.

### الأدلة على أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر:

دل القرآن والسنة على أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ

---

(1) سورة النساء آية : 116 .

(2) البخاري الإيمان (44) ، مسلم الإيمان (193) ، الترمذي صفة جهنم (2593) ، ابن ماجه الزهد (4312) ، أحمد (116/3) .

(3) صحيح البخاري برقم (44) ، وصحيح مسلم برقم (192) .

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝﴾ [1] (الحجرات: 9، 10). ووجه الدلالة من الآيتين هو أن الله أثبت الإيمـــان لمرتكبي معصية الاقتتال من المؤمنين والباغي من بعض الطوائف على بعـــض وهي من الكبائر وجعلهم إخوة وأمر تعالى المؤمنين بالإصلاح بين إخوتهـــم في الإيمان.

ومن السنة ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رســـول الله ﷺ قال: ﴿يدخل أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النـــار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمـــان فأخرجوه﴾ [2] .. ) [3] .

ووجه الدلالة من الحديث هو عدم تخليد مرتكبي الكبائر في النار حيـــث يخرج منها من كان في قلبه أدنى شيء من الإيمان كـــما يدل الحديث علـــى تفاوت أهل الإيمان على حسب أعمالهم وأنه يزيد وينقص بحسب ما يـــترك المؤمن من واجبات أو يرتكـــب من محظورات.

---

(1) سورة الحجرات آية : 9 ، 10 .

(2) مسلم الإيمان (184) .

(3) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الشفاعة وإخراج الموحدين من النار حديث رقم 184 .

## المبحث الثالث: الإحسان

**تعريفه:**

الإحسان معناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن مراقبة من يحبه ويخشاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه بالمحافظة على الفرائض والنوافل واجتناب المحرمات والمكروهات. والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال.

**أدلته:**

من الكتاب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (١٢٨) [1] (النحل: 128).

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإحسان. فقال ﷺ ﴿أن تعبد الله كأنك تراه فإن تكن تراه فإنه يراك﴾ [2] [3].

---

(1) سورة النحل آية : 128 .

(2) البخاري الإيمان (50) ، مسلم الإيمان (9) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4991) ، ابن ماجه المقدمة (64) ، أحمد (426/2) .

(3) تقدم تخريجه ص113 .

## المبحث الرابع

### العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان

جاء ذكر الإسلام والإيمان والإحسان في حديث جبريل ومجيئه إلى النبي ﷺ وسؤاله عن هذه الأمور الثلاثة فأجاب عن الإسلام بامتثال الأعمـال الظاهرة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتـاء الزكاة، وحج البيت، وعن الإيمان بالأمور الباطنة الغيبية، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعن الإحسـان بمراقبة الله في السر والعلانية، فقَال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك.

فإذا ذكرت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة كان لكل واحـد منـها معنى خاص، فيقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة ويقصد بالإيمان الأمور الغيبيـة. ويقصد بالإحسان أعلى درجات الدين وإذا انفرد الإسلام دخـل فيـه الإيمان وإذا انفرد الإيمان دخل فيه الإسلام وإذا انفرد الإحسان دخل فيـه الإسلام والإيمان.

## الفصل الثاني:

## الولاء والبراء معناه وضوابطه

### التعريف:

الولاء: مصدر ولي بمعنى قرب منه، والمراد به هنا القرب من المسلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم على أعدائهم والسكنى معهم.

والبراء: مصدر برى، بمعنى قطع. ومنه برى القلم بمعنى قطعه. والمراد هنا قطع الصلة مع الكفار فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة.

### الولاء والبراء من حقوق التوحيد:

يجب على المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم ويعادي الكافرين ويبغضهم ويتبرأ منهم. قال تعالى في وجوب موالاة المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝ ﴾ [1] (المائدة: 55، 56). وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾ [2] (المائدة: 51). وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ ﴾ [3] (المجادلة: 22).

ويتضح من هذه الآيات الكريمة وجوب موالاة المؤمنين وما ينتج عن ذلك من الخير ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من شر.

---

(1) سورة المائدة آية : 55 ، 56 .

(2) سورة المائدة آية : 51 .

(3) سورة المجادلة آية : 22 .

**مكانة الولاء والبراء في الدين:**

إن للولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عـرى الإيمـان. ومعناه توثيق عرى المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام. فقـد روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿أوثـق عـرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله﴾ [1] [2] .

**الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما على الولاء والبراء:**

**المداهنة:** هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعـة الكفـار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغـيرة علـى الدين. ومثاله الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهـم علـى معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه. قال الله تعـالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾ [3] (المـائدة: 78 - 80).

**المداراة:** هي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعـراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس لـه. كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وتـرك الإغـلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفـه. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها، ﴿أن رجلا استأذن على النبي ﷺ فلمـا رآه قال: (بئس أخو العشيرة. وبئس ابن العشيرة)، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت عائشة رضي

---

(1) أحمد (286/4) .

(2) رواه الطبراني في الكبير (11/ 215) ، والبغوي في شرح السنة (3/ 429) ، بسند حسن .

(3) سورة المائدة آية : 78 - 80 .

الله عنها: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكـــذا، ثم تطلقـــت في وجهـــه وانبسطت إليه. فقال ﷺ (يا عائشة متى عهدتني فحاشًا، إن شر الناس عنـــد الله منـــزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره) ﴾ [1] [2] . فالنبي ﷺ دارى هـــذا الرجل لما دخل عليه مع ما فيه من الشر لأجل المصلحة الدينية، فدل علـــى أن المداراة لا تتنافى مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشـــر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه، وهذا من مناهج الدعـــوة إلى الله تعـــالى. ومن ذلك مداراة النبي ﷺ للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفًـــا لهـــم ولغيرهم.

وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغـــير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا.

## نماذج من الولاء والبراء:

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [3] (الممتحنة: 4). وقال تعـــالى في مـــوالاة الأنصـــار لإخوانهم المهاجرين: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [4] (الحشر: 9).

---

(1) البخاري الأدب (5685) ، مسلم البر والصلة والآداب (2591) ، الترمذي البر والصلة (1996) ، أبو داود الأدب (4792) ، أحمد (158/6) .

(2) صحيح البخاري برقم (6032) .

(3) سورة الممتحنة آية : 4 .

(4) سورة الحشر آية : 9 .

### حكم موالاة العصاة والمبتدعين:

إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر. فقد يجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ويتصدق عليه. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة.

### هل يدخل في الموالاة معاملة الكفار في الأمور الدنيوية:

دلت النصوص الصحيحة على جواز التعامل مع الكفار في المعاملات الدنيوية كمسائل البيع والشراء والإيجار والاستئجار والاستعانة بهم عند الحاجة والضرورة على أن يكون ذلك في نطاق ضيق وأن لا يضر بالإسلام والمسلمين. ﴿فقد استأجر النبي ﷺ عبد الله بن أُرَيْقط هاديًا خِرِّيتًا﴾ [1] [2]. والخريت هو الخبير بمعرفة الطريق.

ورهن النبي ﷺ درعه عند يهودي في صاع من شعير وأجر علي رضي الله عنه نفسه ليهودية يمتح لها الماء من البئر فمتح لها ست عشرة دلوًا كل دلو بتمرة. وقد استعان النبي ﷺ باليهود الذين كانوا في المدينة في قتال المشركين. واستعان بخُزاعة ضد كفار قريش. وهذا كله لا يؤثر على الولاء والبراء في الله على أن يلتزم الكفار الذين يقيمون بين المسلمين بالآداب العامة وأن لا يدعوا إلى دينهم.

---

(1) البخاري المناقب (3694) .

(2) صحيح البخاري حديث رقم (2263) .

## الفصل الثالث:

## حقوق الصحابة وما يجب نحوهم

المبحث الأول: من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم.

المبحث الثاني: وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية.

المبحث الثالث: أهل بيت النبي ﷺ وحقوقهم وبيان أن زوجاته من أهل بيته.

المبحث الرابع: الخلفاء الراشدون، فضلهم وما يجب نحوهم وترتيبهم.

المبحث الخامس: العشرة المبشرون بالجنة.

## المبحث الأول:

## من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم

### تعريف الصحابي:

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مسلمًا ومات على ذلك.

### وجوب محبتهم وموالاتهم:

الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان. فهم حملة هذا الدين، فالطعن فيهم طعن في الدين كله لأنه وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضًّا طريًّا عن رسول الله ﷺ مشافهة ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص ونشروا الدين في كافة ربوع الأرض في أقل من ربع قرن وفتح الله على أيديهم بلاد الدنيا فدخل الناس في دين الله أفواجًا.

وقد دل الكتاب والسنة على وجوب موالاة الصحابة ومحبتهم وأنها دليل صدق إيمان الرجل. فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [1] (التوبة: 71). وإذا كان أصحاب النبي ﷺ مقطوعًا بإيمانهم بل هم أفضل المؤمنين لتزكية الله ورسوله لهم فإن موالاتهم ومحبتهم دليل إيمان من قامت به هذه الصفة.

ومن السنة حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار ﴾ [2] [3].

(1) سورة التوبة آية : 71 .

(2) البخاري الإيمان (17) ، مسلم الإيمان (74) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5019) ، أحمد (134/3) .

(3) صحيح البخاري برقم (17) .

والنصوص في هذا كثيرة جدًّا لا يسع المقام ذكرها على أنه يحسن التنبيـــه هنا على ما يترتب على موالاة الصحابة رضوان الله عليهم من الآثار الطيبـــة في الدنيا والآخرة مما يشحذ الهمم على تحقيق موالاتهم.

فمن آثار موالاتهم الطيبة في الدنيا الفلاح والغلبة والنصر كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [1] (المائدة: 56). قال ابن كثير: (كل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فـــهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة).

ومن ثمار محبتهم في الآخرة ما يُرجى لـــمُحبّهم من الحشر معهم لقـــول النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ﴿ جاء رجل إلى رســـول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قومًا و لم يلحق بهم، فقال رسول الله ﷺ (المرء مع من أحب) ﴾ [2] [3] .

ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يتقربون إلى الله بمحبة أبي بكر وعمـــر ويعدون ذلك من أفضل أعمالهم وأرجاها عند الله. روى الإمام البخـــاري من حديث أنس بن مالك ﷺ ﴿ أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقـــال: متى الساعة ؟ فقال النبي ﷺ (وماذا أعددت لها). قـــال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقَال النبي ﷺ (أنت مع من أحببت)، فقال أنس: فمـــا فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ أنت

(1) سورة المائدة آية : 56 .

(2) البخاري الأدب (5817) ، مسلم البر والصلة والآداب (2641) ، أحمد (405/4) .

(3) صحيح مسلم برقم (6168) .

مع من أحببت. قال أنس: (فأنـــا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إيـــاهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم ﴾ [1] [2] .

(1) البخاري المناقب (3485) ، مسلم البر والصلة والآداب (2639) ، الترمذي الزهد (2385) ، أبو داود الأدب (5127) ، أحمد (283/3) .

(2) صحيح البخاري برقم (3688) .

## المبحث الثاني

## وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم

## والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية

**فضلهم:**

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة ورضي عنهم ووعدهم الحسنى. كما قال تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1] (التوبة: 100). وقال تعالى ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[2] (الفتح: 18). وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[3] (الحشر: 8- 10).

فقد دلت الآيات الكريمة على فضل الصحابة والثناء عليهم من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكل من حصل على شرف الصحبة. ووصف الذين جاؤوا من بعدهم بأنهم يستغفرون لمن سبقهم من الصحابة ويدعون الله تعالى ألا يجعل في قلوبهم غلًّا للذين آمنوا.

---

(1) سورة التوبة آية : 100 .

(2) سورة الفتح آية : 18 .

(3) سورة الحشر آية : 8 - 10 .

كـــما تضمنت الآيات وغيرها مما لا يمكن حصره من الـــترضي عنـــهم وبشارتهم بالجنة وحصولهم على الفوز العظيم ومدحــــهم وذكـــر بعـــض صفاتهم من الحب والإيثار والكرم والجود وحب إخوانهم المسلمين ونصرهم لدين الله ونحو ذلك من الأوصاف العظيمة والذكر الجميل ما هم أهل له.

وقد أثنى عليهم رسول الله ﷺ بأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم عـــن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿لا يدخل النارَ أحدٌ بـــايع تحـــت الشجرة﴾ [1] [2] .

وقد جاءت أحاديث بعضها عامة في فضل جميـــع الصحابـــة وبعضها في فضل أهل بدر، وبعضها في أفراد بخصوصهم.

فالواجب على المسلمين تطبيق هذه النصوص وتولي الصحابة جميعًـــا، ومحبتهم والترضي عنهم، وذكرهم بكل جميل، والاقتداء بهم والسير علـــى منهجهم.

**وجوب الكف عما شجر بين الصحابة وحكم سبهم:**

عرفنا أن أصحاب رسول الله ﷺ هم الصفوة المختارة من هذه الأمة بعد نبينا ﷺ فهم السابقون إلى الإسلام وهم أعلام الهدى ومصابيح الدجـــى، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأبلوا بلاءً حسنًا في الـــذود عـــن حياض الإسلام حتى مكن الله لهذا الدين في الأرض على أيديـــهم. فمـــن تنقصهم أو سبهم أو نال من أحد منهم فهو من شر الخليقة؛ لأن عمله هـــذا اعتداء على الدين كله. ومن كفرهم أو اعتقد ردتهم فـــهو أولى بـــالكفر والردة وإنه مهما عمل أحدٌ بعدهم من عمل فإنه لن يبلغ شيئًا من فضلـــهم. فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رســـول الله ﷺ ﴿لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا مـــا أدرك مُد أحدهم ولا

(1) الترمذي المناقب (3860) .

(2) صحيح مسلم : حديث برقم (2496) .

نصيفه ﷺ [1] [2] . فقد دل الحديث على تحريم سب أصحاب رسول الله ﷺ والتأكيد على أنه لن يبلغ أحد مبلغهم مهما قدم من عمل.

فالواجب على المسلمين اعتقاد عدالتهم والترضي عنهم والكف عما شجر بينهم وعدم الخوض فيما جرى بينهم من خلاف وترك سرائرهم إلى الله تعالى. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (أولئك قوم طهر الله أيدينا من دمائهم، فلنطهر ألسنتنا من أعراضهم).

وخلاصة القول أن أهل السنة يوالون الصحابة كلهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب. فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد.

(1) البخاري المناقب (3470) ، مسلم فضائل الصحابة (2541) ، الترمذي المناقب (3861) ، أبو داود السنة (4658) ، أحمد (55/3) .

(2) صحيح البخاري حديث برقم (3673) ، ومسلم كتاب الفضائل حديث رقم (2540 ، 2541) .

## المبحث الثالث

## أهل بيت النبي ﷺ

### التعريف بأهل البيت:

أهـــل البيـــت هـــم آل النبي ﷺ الذين حرّمت عليهم الصدقة. وهـــم: آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل العبـــاس، وبنـــو الحـــارث بـــن عبد المطلب وأزواج النبي ﷺ .

### أدلة فضل أهل البيت:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] (الأحزاب: 33).

وقال ﷺ ﴿ أذكّركم الله في أهل بيتي ﴾ [2] [3] .

### دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت:

قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [4] (الأحزاب: 32-34). قال الإمام ابن

---

(1) سورة الأحزاب آية : 33 .

(2) مسلم فضائل الصحابة (2408) ، أحمد (367/4) ، الدارمي فضائل القرآن (3316) .

(3) صحيح مسلم حديث برقم (2408) .

(4) سورة الأحزاب آية : 32 - 34 .

كثير رحمه الله: (ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾ [1] .

فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾ [2] ، أي واعملن بما ينـــزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة. قال قتادة وغـــير واحـــد: (واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين النساء) [3] .

**الوصية بأهل البيت:**

تقدم حديث ﴿أذكركم الله في أهل بيتي﴾ [4] . فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ لأن ذلك من محبة النبي وإكرامه وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وبنيه. أما من خالف السنة و لم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته، ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإنّ كونه من أهل البيـــت ومـــن قرابـــة الرسول لا ينفعه شيئًا حتى يستقيم على دين الله. فقد روى أبو هريـــرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنـــزل عليـــه ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾ [5] (الشعراء: 214). فقال: ﴿يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفســـكـــم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني

(1) سورة الأحزاب آية : 33 .
(2) سورة الأحزاب آية : 34 .
(3) تفسير ابن كثير 6 / 411 .
(4) مسلم فضائل الصحابة (2408) ، أحمد (367/4) ، الدارمي فضائل القرآن (3316) .
(5) سورة الشعراء آية : 214 .

عنكم من الله شيئًا، يــا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنــت محمــد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا﴾ [1] [2] .

ولحديث: (من بطــأ به عمله لم يسرع به نسبه) [3] . معنى من بطأ: أي من تأخر.

ويتبرأ أهل السنة والجماعة من الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدعون لهم العصمة. ومن الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنــون فيهم، ومن طريقة المبتدعين والخرافيين الذيــن يتوســلون بــأهل البيت ويتخذونهم أربابًا من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره على المنهج المعتدل والصراط المســتقيم الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

---

(1) البخاري الوصايا (2602) ، مسلم الإيمان (204) ، النسائي الوصايا (3646) ، أحمد (361/2) ، الدارمي الرقاق (2732) .

(2) صحيح البخاري برقم (4771) ، ومسلم برقم (204) .

(3) رواه مسلم برقم (2699) .

## المبحث الرابع

## الخلفاء الراشدون

### التعريف بالخلفاء الراشدين:

الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (الفاروق)، وذو النورين عثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم.

### مكانتهم ووجوب اتباعهم:

الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المـهديون الذين أمر الرسول ﷺ باتباعهم، والتمسك بهديهم. كما ثبت ذلك مـن حديث العرباض بن سارية ﷺ الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال: ﴿ أوصيكـم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكـم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكـم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليـها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة ﴾ [1] [2] .

### فضلهم:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن التفضيل بين الخلفاء بحسب ترتيبـهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. وقد ورد في فضـل كـل واحد منهم أحاديث كثيرة نورد حديثًا واحدًا منها لكل واحد منهم:

---

(1) الترمذي العلم (2676) ، ابن ماجه المقدمة (44) ، أحمد (126/4) ، الدارمي المقدمة (95) .

(2) رواه أحمد (4 / 129- 127) ، والترمذي (7 / 438) بسند صحيح .

فمما جاء في فضل أبي بكر ﷺ ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قـــال على منبره: ﴿لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر﴾ [1] [2] .

ومما جاء في فضل عمر ﷺ ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ كان يقول: ﴿قد كان في الأمم قبلكـــم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمـــر بن الخطاب منهم﴾ [3] [4] . ومعنى محدّثون: مُلْهَمُون.

ومما جاء في فضل عثمان ﷺ حديث عائشة الطويل الذي قالت فيـــه: ﴿دخل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وعندما رآه الرسول جلس وسوى ثيابـــه فسألته عائشة فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة﴾ [5] [6] .

ومما جاء في فضل علي ﷺ ما رواه الشيخان عن سهل بن ســـعد ﷺ أن النبي ﷺ قال عشية خيبر: ﴿لأعطين الراية غدًا رجلا يحـــب الله ورســـولَه، ويحبه الله ورسولُه يفتَح الله على يديه... فقال: ادعوا لي عليًّا... فدفـــع الراية إليه ففتح الله عليه﴾ [7] . [8] .

---

(1) البخاري المناقب (3691) ، مسلم فضائل الصحابة (2382) ، الترمذي المناقب (3660) ، أحمد (18/3) .

(2) صحيح البخاري برقم (3654) .

(3) البخاري أحاديث الأنبياء (3282) ، أحمد (339/2) .

(4) صحيح البخاري برقم (3689) . ومسلم برقم (2398) .

(5) مسلم فضائل الصحابة (2401) ، أحمد (155/6) .

(6) صحيح مسلم برقم (2401) .

(7) البخاري المغازي (3973) ، مسلم فضائل الصحابة (2406) ، أحمد (333/5) .

(8) صحيح البخاري برقم (3702) . ومسلم برقم (2405) .

## المبحث الخامس

## العشرة المبشرون بالجنة

عرفنا فيما سبق فضل الصحابة وأنهم جميعًا عدول، وأنهم يتفاضلون في الصحبة. وأفضل الصحابة السابقون الأولون في الإسلام من المهاجرين ثم الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل غزوة الأحزاب ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب، ثم عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام حواريّ رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين.

وقد جاءت في فضلهم أحاديث عامة ومنهم من جاء فيه حديث بخصوصه. ومن الأحاديث العامة في فضلهم ما رواه أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس رضي الله عنه عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: ﴿عشرة في الجنة، النبي ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة)، ولو شئت لسميت العاشر. قال: فقالوا: من هو ؟ فسكت قال: فقالوا: من هو ؟ فقال: (هو سعيد بن زيد رضي الله عنه)﴾ [1] [2].

وقد بشر النبي ﷺ آخرين غير هؤلاء العشرة بالجنة، مثل عبد الله بن مسعود، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محصن، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم كثير. وأهل السنة

---

(1) الترمذي المناقب (3757) ، أبو داود السنة (4648) ، أحمد (188/1) .

(2) رواه أحمد (1 / 188) ، وأصحاب السنن بسند صحيح .

والجماعة ينصون على مـــن ورد النـــص مـــن المعصوم فيه باسمه فيشهدون له بالجنة لشهادة رسول الله ﷺ له، ومن عداهم يرجون لهم الخير لوعد الله لهم جميعًا بالجنة كما قال تعـــالى بعـــد ذكـــر الصحابة وبيان فضل بعضهم علـــى بعـــض ﴿ وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [1] (النساء: 95). والحسنى هي الجنة. كما أن مذهب أهـــل الســـنة في عمـــوم المسلمين عدم القطع لأحد منهم بجنة أو نار، وإنما يرجـــون للمحســـنين الثواب ويخافون على المسيئين العقاب مع القطع لمن مات على التوحيد بعدم تخليده في النار لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [2] (النســـاء: 116).

(1) سورة النساء آية : 95 .

(2) سورة النساء آية : 116 .

## الفصل الرابع:
## الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم
## ولزوم جماعتهم

روى مسلم عن أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿ الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ [1] [2] .

فالنصيحة لله: إفراده تعالى بالعبادة وتعظيمه وخوفه ورجاؤه ومحبته وفعل أوامره واجتناب نواهيه.

والنصيحة لرسوله ﷺ تصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر به، واتباع سنته، والاهتداء بهديه ومحبته، وألا نعبد الله إلا وفق ما جاء به ﷺ .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهي الدعاء لهم ومحبتهم وطاعتهم في حدود طاعة الله تعالى.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهو أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحبُ الخير لهم كما نحب لأنفسنا وبذل الخير لهم ومساعدتهم بقدر ما نستطيع.

### الواجب نحو ولاة الأمور:

لقد دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على وجوب طاعة الإمام وإن جار في حدود طاعة الله تعالى، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. كما تجب الصلاة خلفه، والحج والجهاد معه، ويطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم

---

(1) مسلم الإيمان (55) ، النسائي البيعة (4197) ، أبو داود الأدب (4944) ، أحمد (4/102) .

(2) صحيح مسلم برقم (55) .

لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف وتجنب مفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم مـــن أمـــر المصـــالح الخاصة. كما تجب النصيحة له بالطرق المشروعة وترك منازعتـــه وعـــدم الخروج عليه.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: (ولا نرى الخروج علـــى أئمتنـــا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننـــزع يدًا من طاعتهم ونـــرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهـــم بالصلاح والمعافاة).

والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [1] (النساء: 59).

ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ من أطاعني فقد أطا ع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومـــن يعص الأمير فقد عصاني ﴾ [2] [3] . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قـــال: قـــال رسول الله ﷺ ﴿ على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحـــب وكـــره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ﴾ [4] [5] .

والسنة أن تُبذل النصيحة للإمام سرًّا بعيدًا عن الإثارة والتـــهويل يـــدل لذلك ما رواه ابن أبي عاصم وغيره، عن عياض بن غنم ﷺ قـــال: قـــال رسول الله ﷺ ﴿ من

---

(1) سورة النساء آية : 59 .

(2) البخاري الجهاد والسير (2797) ، مسلم الإمارة (1835) ، النسائي الاستعاذة (5510) ، ابن ماجه الجهاد (2859) ، أحمد (313/2) .

(3) صحيح البخاري برقم (7137) .

(4) البخاري الأحكام (6725) ، الترمذي الجهاد (1707) ، أبو داود الجهاد (2626) ، ابن ماجه الجهاد (2864) ، أحمد (142/2) .

(5) صحيح البخاري برقم (7144) .

أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، وليـــأخذ بيده فإن سمع منه فذاك، وإلا أدى الذي عليه ﴾ [1] [2] .

هذه النصوص من القرآن والسنة كلها تأمر بطاعة الأئمة وولاة الأمـــور في غير معصية الله تعالى. ويمكن أن نستخلص منها ما يأتي:

1 - أن السمع والطاعة واجبة في كل الأحوال في غير معصية.

2 - عدم الخروج على ولاة الأمر إذا لم يقبلوا النصيحة.

3 - أن من نصح لولاة الأمر وأنكر عليهم بالطريقة المشروعة فقد برئ مـــن الذنب.

4 - النهي عن إثارة الفتن وأسباب إثارتها.

5 - عدم الخروج على الولاة ما لم يظهر منهم الكفر البـــواح أي الظـــاهر الذي لا يحتمل التأويل.

6 - وجوب لزوم جماعة المسلمين الذين يسيرون على هدى الكتاب والسنة قولا وعملا واعتقادًا وموالاتهم واتباع سبيلهم والحرص علـــى جمع كلمتهم على الحق وعدم مفارقتهم أو الانشقاق عليهم. كمـــا قـــال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[3] (النساء: 115) وقال رسول الله ﷺ ﴿عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ في النار ﴾ [4] [5] وعن ابن عباس رضي الله عنه قـــال: قـــال رسول الله ﷺ

---

(1) أحمد (404/3) .

(2) رواه ابن أبي عاصم في السنة (2 / 507) بسند صحيح .

(3) سورة النساء آية : 115 .

(4) الترمذي الفتن (2167) .

(5) الترمذي برقم (2167) ، السنة لابن أبي عاصم برقم (80) .

﴿ من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فـــارق الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهلية ﴾ [1] [2] .

فـــدلت هذه النصوص على وجوب لزوم الجماعة وعدم منازعـــة الأمـــر أهله، والوعيد الشديد لمن يخالف ذلك. إذ أن الجماعـــة رحمـــة والفرقـــة عذاب.

(1) البخاري الفتن (6646) ، مسلم الإمارة (1849) ، أحمد (297/1) ، الدارمي السير (2519) .
(2) صحيح البخاري برقم (7143) .

## الفصل الخامس:
## وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة
## وأدلة وجوبه

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه.

المبحث الثاني: التحذير من البدع.

المبحث الثالث: ذم التفرق والاختلاف.

## المبحث الأول

## معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه

لقد أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف على أن يكـــون أساس هذا الاجتماع الاعتصام بالكتاب والسنة، ونهى عن التفرق وبـــين خطورته على الأمة في الدارين. ولتحقيق ذلك أمرنا بالتحاكـــم إلى كتـــاب الله تعالى في الأصول والفروع ونهينا عن كل سبب يؤدي إلى التفرق.

فالطريق الصحيح إلى النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رســـوله ﷺ فإنهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعـــالى. قـــال تعـــالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [1] (آل عمران: 103). فقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو عـــهد الله أو هو القرآن كما قال المفسرون، إذ العهد الذي أخذه الله على المســـلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنة. فقد أمر الله تعالى بالجماعة ونهى عن التفـــرق والاختلاف. قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ ﴾ [2] (الحشر: 7). وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنـــة.

وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفتـــه، وأن نص الرسول على حكـــم الشيء كنص الله تعالى لا رخصة لأحـــد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا

(1) سورة آل عمران آية : 103 .

(2) سورة الحشر آية : 7 .

تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [1] (الأنفال: 20). فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعتــه وطاعة رســوله، وزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له. ولهذا قــال: ﴿ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ ﴾ [2] أي تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [3] (النساء: 59).

قــال الحافظ ابن كثير: (أطيعوا الله، أي اتبعوا كتابه، وأطيعوا الرسول أي خــذوا سنته، وأولي الأمر منكــم أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصيــة الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله). وقوله ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [4] . قال مجاهد: أي إلى كتاب الله وسنة رســوله.

وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الديــن وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعــالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [5] (الشورى: 10). فما حكــم به الكتــاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال. ولهذا قال تعــالى: ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾ [6] ، أي ردوا الفصــل في الخصومات والجهالات إلى الكتاب والسنة

(1) سورة الأنفال آية : 20 .
(2) سورة الأنفال آية : 20 .
(3) سورة النساء آية : 59 .
(4) سورة النساء آية : 59 .
(5) سورة الشورى آية : 10 .
(6) سورة النساء آية : 59 .

ومن لا يرجع إليهما في ذلـــك فليس مؤمنًا بالله ولا اليوم الآخر. وقوله ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [1] ، أي التحـــاكم إلى كـــتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النـــزاع خير ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [2] ، أي وأحسن عاقبة ومآلا كما قال السدي وقال مجاهد: (وأحســـن جزاء وهو قريب) [3] . وفي كتاب الله آيات كثـــيرة وردت في وجـــوب الاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل الأمور.

**وأما الأدلة من السنة** على وجوب التمسك بالكتاب والسنة فمنها مـــا رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن الله يرضى لكـــم ثلاثًا ويسخط لكـــم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويسخط لكـــم ثلاثًا، قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال﴾ [4] [5] . وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي﴾ [6] . وقال ﷺ ﴿تركتكـــم علـــى البيضـــاء ليلـــها كنهارها لا يزيغ عنها بعد إلا هالك﴾ [7] [8] . وجاء في حديث

(1) سورة النساء آية : 59 .
(2) سورة النساء آية : 59 .
(3) تفسير ابن كثير (2 / 304) .
(4) مسلم الأقضية (1715) ، أحمد (360/2) ، مالك الجامع (1863) .
(5) صحيح مسلم برقم (1715) .
(6) رواه مالك في الموطأ (2 / 899) .
(7) ابن ماجه المقدمة (44) ، أحمد (126/4) .
(8) سنن ابن ماجه (1/ 16) المقدمة . وصحيح ابن ماجه للألباني (1/ 6) .

العرباض بن سارية قوله ﷺ ﴿ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ﴾ [(1)] [(2)] .

وقد بشر النبي ﷺ المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشارة وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى إلى تحقيقه من كان في قلبه أدنى مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة. جاءت هذه البشرى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ﴾ [(3)] [(4)] . وأي إباء ورفض للسنة أعظم من مخالفة أمره ﷺ ؟ وذلك بالإحداث والابتداع في الدين.

ومعلوم أن الفرقة الناجية هي التي كانت على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهي الجماعة. قال أبي بن كعب رضي الله عنه ﴿ عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبدًا وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة ﴾ .

---

(1) الترمذي العلم (2676) ، ابن ماجه المقدمة (44) ، أحمد (126/4) ، الدارمي المقدمة (95) .
(2) سنن أبي داود (5/ 13) والترمذي مع تحفة الأحوذي (7/ 438) .
(3) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (6851) ، أحمد (361/2) .
(4) صحيح البخاري برقم (7280) .

## المبحث الثاني

## التحذير من البدع

### تعريف البدعة:

البدعة لغة: هي الاختراع على غير مثال سابق ومن ذلــك قول الله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ (1) أي مخترعهما.

وشرعًا: ما خالف الكتاب والسنة، أو إجمــاع ســلف الأمــة من الاعتقادات والعبادات المحدثة في الدين.

### خطر البدع:

إن البدع والمحدثات في الدين لها خطورة عظيمة، وآثار سيئة على الفرد والمجتمع بل وعلى الدين كله أصوله وفروعه. فالبدع: إحداث في الديــن، وقول على الله بغير علم وشرع في الدين بما لم يأذن به الله، والبدعة ســبب في عدم قبول العمل وتفريق الأمة، والمبتدع يحمل وزره ووزر من تبعــه في بدعته، كما أن البدعة سبب في الحرمان من الشرب من حوض النبي ﷺ فعن ســهل بــن ســعد الأنصاري، وأبي سعيد الخــدري رضي الله عنهما أن رســول الله ﷺ قــال: ﴿أنا فَرَطُكم على الحوض من مرّ علي شرب، ومن شرب لا يظمأ أبدًا. ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقولِ إنهم من أمتي، فيقال: إنك لا تدري مــا أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً لمن غيّر بعدي﴾ (2) (3) . والفرط: الذي يسبق إلى المــاء.

وسحقًا: أي بعدًا.

---

(1) سورة البقرة آية : 117 .

(2) البخاري الرقاق (6213) ، مسلم الفضائل (2291) ، أحمد (339/5) .

(3) صحيح البخاري برقم (6583) ، ورقم (6584) ، وصحيح مسلم برقم (2290) .

والبدعة تشويه للدين، وتغيير لمعالمه. والخلاصة أن البدعة خطر عظيم على المسلمين في أمر دينهم ودنياهم.

**أسباب البدعة:**

للبدع أسباب كثيرة أعظمها البعد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، الأمر الذي يؤدي إلى الجهل بمصادر التشريع.

ومن أسباب انتشار البدع، التعلق بالشبهات والاعتماد على العقل المجرد وجلساء السوء، والاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها المبتدعة على بدعهم، والتشبه بالكفار، وتقليد أهل الضلال ونحو ذلك من الأسباب الخطيرة.

**خطر البدع:**

من تأمل الكتاب والسنة وجد أن البدع في الدين محرمة ومردودة على أصحابها من غير فرق بين بدعة وأخرى، وإن كانت تتفاوت درجات التحريم بحسب نوعية البدعة.

ومن المعلوم أن النهي عن البدع قد ورد على وجه واحد في قول النبي ﷺ ﴿ إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ﴾ [1] [2] . وقوله ﷺ ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [3] [4] . فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوع البدعة فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربا إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء

---

(1) مسلم الجمعة (867) ، النسائي صلاة العيدين (1578) ، ابن ماجه المقدمة (45) ، أحمد (311/3) ، الدارمي المقدمة (206) .

(2) رواه الإمام أحمد في المسند (1/ 435) ، والدارمي في السنن (1/ 78) ، والحاكم في المستدرك (2/ 318) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(3) البخاري الصلح (2550) ، مسلم الأقضية (1718) ، أبو داود السنة (4606) ، ابن ماجه المقدمة (14) ، أحمد (270/6) .

(4) صحيح البخاري برقم (2697) ، وصحيح مسلم برقم (1718) .

أصحابها والاستغاثة بهم، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور، والصلاة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسق ومعصية كإقامة الأعياد التي لم ترد في الشرع، والأذكار المبتدعة والتبتل والصيام قائما في الشمس.

## المبحث الثالث

## ذم التفرق والاختلاف

### الأدلة على ذم التفرق:

لقد ذم الله التفرق ونهى عن الطرق والأسباب المؤدية إليه. وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة التي تحذر من التفرق والاختلاف وتبين سوء عاقبته وأنه من أعظم أسباب الخذلان في الدنيا، والعذاب والخزي وسواد الوجوه في الآخرة. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [1] (آل عمران: 105-107). قال ابن عباس: (تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [2] (الأنعام: 159).

فقد دلت الآيات على ذم التفرق وخطورته على الأمة في الدنيا والآخرة، وأنه سبب هلاك أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وسبب كل انحراف وقع في الناس.

وأما السنة فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في ذم التفرق والاختلاف والحث على الجماعة والائتلاف فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن معاوية ﵁ أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: ﴿ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة. وإن هذه الأمة ستتفرق على ثلاث وسبعين ملة اثنتان

---

(1) سورة آل عمران آية : 105 - 107 .

(2) سورة الأنعام آية : 159 .

وسبعون في النار وواحدة في الجنـــة وهي الجماعة ﴾ [1] [2] . فقد أخبر النبي ﷺ بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذيـــن مـــن قبلهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ إما في الدين فقط وإمـــا في الدين والدنيا ثم يؤول إلى الدين. وقد يكون الاختلاف في الدنيـــا فقـــط. وعلى كل حال فإن الفرقة والاختلاف لا بـــد مـــن وقوعـــهما في الأمـــة والرسول ﷺ يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة.

**الاختلاف والتفرق سبب هلاك الأمم السابقة:**

إذا تأملنا القرآن والسنة وجدنا أن سبب هلاك الأمم السابقة هو التفرق وكثرة الاختلاف لاسيما الاختلاف في الكتاب المنـــزل عليهم.

قال حذيفة ﷺ لعثمان ﷺ (أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتـــاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم)، لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهى عنه رسول الله ﷺ . فأفاد ذلك شيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [3] (البقرة: 176).

وقوله: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾ [4] (آل عمران: 19).

---

(1) أبو داود السنة (4597) ، أحمد (102/4) ، الدارمي السير (2518) .

(2) رواه أحمد (4 / 152) . وأبو داود (5 / 5) وغيرهما بسند صحيح .

(3) سورة البقرة آية : 176 .

(4) سورة آل عمران آية : 19 .

ومن السنة ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ذروني مـــا تركتكم فإنما هلك من كان قبلكـــم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائـــهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم﴾ [1] [2]. فقد أمرهم الرسول ﷺ في هذا الحديث بالإمساك عما لم يؤمروا به، معلـــلا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال، ثم الاختلاف على الرســـل بالمعصية أي بمخالفتهم لما أمرتهم به أنبياؤهم.

**هل الاختلاف رحمة:**

يدعي بعض الناس أن الاختلاف رحمة اعتمادًا على حديث موضـــوع: (اختلاف أمتي رحمة). وهذا القول مردود بالكتاب والسنة والعقل. وقـــد ذكرنا بعض الآيات والأحاديث الواردة في ذم الاختلاف والتفـــرق. وفي ذلك كفاية لمن تدبر وتأمل.

بل قد دل القرآن على أن الاختلاف لا يتفق مع الرحمة بل هو ضدهـــا. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [3] (هود: 118، 119).

والحديث الذي استدل به أصحاب هذه الدعوى باطل ولا يصح بحـــال، ولا يوجد في شيء من كتب السنة. وهذا كافٍ في بطلان هذه الدعـــوى، يضاف إلى ذلك مخالفته للمعقول، فإنه لا يتصورَ عاقل أن الاختلاف رحمة، بعدما عرفنا المفاسد الخطيرة الناتجة عنه من التشاحن والتباغض والتهاجر بـــل وربما القتال والحروب التي كثيرًا ما ثارت بين الناس بســـبب الاختـــلاف، حتى في بعض مسائل الفروع.

---

(1) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (6858) ، مسلم الحج (1337) ، النسائي مناسك الحج (2619) ، ابن ماجه المقدمة (2) ، أحمد (2/428) .

(2) صحيح البخاري برقم (7288) ، وصحيح مسلم برقم (1337) .

(3) سورة هود آية : 118 ، 119 .

### طريق الخلاص من الفرقة والاختلاف:

ومن المعلوم أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي الجماعة. والجماعة هم الذين يسيرون وفق منهج النبي ﷺ وأصحابه لا يعدلون عن ذلك ولا يحيدون عنه يمينًا أو شمالًا.

قال الشاطبي رحمه الله في الاعتصام: (إن الجماعة ما كان عليه النبي وأصحابه والتابعون لهم بإحسان). فطريق الخلاص هو اتباع منهج أهل السنة والجماعة قولًا وعملًا واعتقادًا، وعدم مخالفتهم أو الشذوذ عنهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [1] (النساء: 115).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [2] (الأنعام: 153).

وفي السنة ما رواه الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «لا تجتمع أمتي على ضلالة- أو قال: أمة محمد على ضلالة- ويد الله على الجماعة» [3] [4] .

وبهذا نختم القول بأن طريق الخلاص وعنوان السعادة التمسك بكتاب الله تعالى، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فإنهما أي الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان لعقيدة

---

(1) سورة النساء آية : 115 .

(2) سورة الأنعام آية : 153 .

(3) الترمذي الفتن (2167) .

(4) رواه الترمذي (4 / 466) ، وغيره بسند صحيح .

الإسلام وشريعته. فأي منهج جانب هذا الطريق فإنه منهج خاسر، فالتمسك بالسنة هو سبيل المؤمنين، وطريق الوصول إلى مرضاة رب العالمين، والحصن الحصين، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من بدع المبتدعين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين. وهو الطريق الذيَ صلحت به أحوال الأمة في صدر الإسلام، ولا فلاح لنا ولا نجاح إلا بالرجوع إليه. يقول إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، وما صلح به أولها هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومما ينبغي على المسلم في هذا الجانب أن يكون العمل بالكتاب والسنة مقيدًا بفهم السلف الصالح ومنهجهم لقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [1] (النساء 115).

فاتباع سبيل المؤمنين وهم الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان هو سبيل النجاة نسأله تعالى أن يوفق الأمة الإسلامية للتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ واتباع سبيل المؤمنين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(1) سورة النساء آية : 115 .

# فهرس الآيات

# فهرس الأحاديث

# الفهرس